

دار العين للنشر

أشرف يوسف

مَقْهى صغيرٌ لأرامِلِ ماركس

مُتتالية شعرية



مَقْهى صغيرٌ لأراملِ ماركس
أشرف يوسف

الغلاف: غادة خليفة؛ فوتوغرافيا: Emila Medkova

الطبعة الأولى: دار العين للنشر، وشرقيات 2015

دار العين للنشر
4 ممر بهلر ـ قصر النيل ـ القاهرة
هاتف: 23962475
فاكس: 23962476
البريد الإلكتروني elainpublishing@gmail.com
المدير العام: د. فاطمة البودي

5 ش محمد صدقي، هدى شعراوي.
الرقم البريدي 11111
باب اللوق، القاهرة، ت: 23902913
Sharqiyat2010@yahoo.com

يوسف، أشرف
مَقْهى صغيرٌ لأراملِ ماركس: مُتتالية شعرية/ أشرف يوسف – ط ١.
– القاهرة: دار العينَ؛ دار شرقيات، ٢٠١٥.

ص ؛ ٢٠x١٤ سم.

رقم الإيداع ٢٠١٥/٢٣٤٨٧ تدمك ٩–٣٥١–٤٩٠–٩٧٧–٩٧٨ ISBN

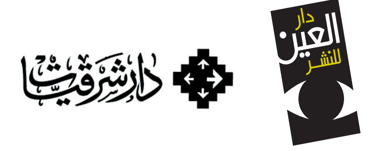
الشعر العربى – تاريخ – العصر الحديث – العنوان ديوى ٨١١,٩

مَقْهى صغيرٌ لأراملِ ماركس

(نوفمبر 2008)

مُتتالية شعرية

أشرف يوسف



لَا يَشْكُر اللـه مَنْ لَا يَشْكُر النَّاس

إلى:

عادل السيوي، وميّ عبد الصبور،

وحاميتي الطاهرة زينب (عليها السلام)

"يقول الراوي: ولكن مَن الراوي؟ ألا يحسُن أن نقدِّمه بكلمة؟ إنه ليس شخصًا معينًا يمكن أن يُشار إليه إشارة تاريخية، فلا هو رجل ولا امرأة، ولا هوية ولا اسم له، لعله خلاصة أصوات مهموسة أو مرتفعة، تحركها رغبة جامحة فى تخليد بعض الذكريات..".

نجيب محفوظ، عصر الحب

I

أصواتُ النساء

تعالَ يا مؤلف الكتب،
أيّها الرجل المغرور
سآخذكَ معي في صياعة منتصف الليل
وسأسلِّيكَ بتلك الخواطر التي يُقال إنها حياتي
بشرط أن تعضَّني من شفتيَّ كرفيق لم أصادفه.

أنا رسمة لحرفٍ من حروف الهجاء
وذاع صيت اسمي كدالٍّ على أنوثة طاغية
فليس هناك شك أنه لا يصلح لمذكَّر.

أدور بين مدينتين أو ثلاث
من أجل صفاءٍ روحيٍّ لم يأت.
هاتِ سيجارة حشيش
وتعالَ ندخن كمؤلفي خواطر
وسأعبئ روحك الميتة بالخيال
هل تعرف كيف تكون لنفسك ابنًا
وأبًا وأمًا في خيط واحد.

إنني النقصان الذي يرعاكَ في الليل
ويرسل لكَ ابتسامة
بين شفتين لجمْعٍ من البلهاء
تعالَ يا مؤلف الكتب
تعالَ لو سمحت.

بودِّي أن تجيب لهاوية بداخلي
عن سؤال بسيط:
هل أنت إله
أم طفل كبير ضائع بين سطوري؟

II

أفكرُ أنني ضائعة وبلا رفيق

أعملُ ليلاً

لم يكن لديّ صوت أهدمه وأبنيه.
معزولة عنكم. أغزل شبْقي على مقاس مدينةٍ
صموتٍ. تلتقطني وتختبئ ورائي.

ليس لعائلتي ملمح أسطوري كعائلات صديقاتي.
حكت واحدة منهن أن أباها طبيب في بلدٍ بعيدٍ
بعيدٍ عن تفكير أبي الذي يتهجّى اسمه مرتين على
طاولة الكتابة.

وحكت أخرى تاريخًا مغشوشًا عن جدَّتها
الميتة، بما يليق بطفلةٍ خبيثةٍ تربَّت في قرية.
أما أنا فأعملُ ليلًا.
شغلتي الإغواء
ولا أضاجع موظفًا.
الموظفون كلاب سيئة السمعة.

الموظفون يا أخانا القوّاد أكلوا المدينة..
أكلوها على إيقاع المساءات الرتيبة للزِّحام.

مونولوجُ الزخارف

أرسمُ نفسي برَغاوٍ طائرة بين كفيِّن بضَّتين
أنسحبُ من العالم إلى دشٍّ دافئ
وألوان لفوَط نسجَها عمّال "المحلة" لأجلي
أليس لملحٍ في سمت رمال
أدلك به جسمي
فضلٌ في الثناء
على نعومة آمنة فوق جلدي
بأيَّة طلة يكون لوجهي سحرٌ بين الحشمة والافتتان؟

بمَ أحدده ليبدو كحلمٍ لا يزول
لعابر في مرايا روحي؟

أنا حيرانة صدقوني
حتىَّ يراني رفيقي في أبهى صورة
كأنني معجزة تخصه تمشي على قدمين
وتثير فضوله حد التمنِّي
أن يمسح بكرامتي الأرض
وأكون قد امتلكته على الأرجح بين أسناني
حتى يُصهر ويتفحَّم من تلك الحمم الملقاة عليه
كالعطايا الكامنة تحت لساني
كأنني أنا الجميلة فينوس
مجرد سيرة ذاتية لمخدر
بودِّي أن يغشَى عليه
وترتعش يداه النحيلتان

عندما يلمس بهما
خُصلة بيضاء منزوية في أتون وردتي.

وردتي التي يا للخسارة
سيأكلها يومًا ما
ويكف عن ملاحقتها في خياله
لكونها صارت مرئية
وبين يديه النحيفتين مطواة
ليطوِّح بتلاتها هذا الأحمق
متى وكيف يشاء
لأبتهج به كلعبة بازل صنعتها وحدي
في الليل... في الليل.

نساءٌ لا مرئيَّات

هناك بين السحب في الأعالي
مدينة متخيَّلة داخل رأس مدمن
شبيهة بنصف استدارة جمْع من المجاذيب
تحت كوبري المُعدات الثقيلة
شبيهة بـ"القلقاسة" وهي محمولة في إناء من الألومنيوم
من أجل أن تقطعها سكين باردة وتشقها إلى نصفين
شبيهة برأسي.

أنا الطفلة العجوز
المريضة بالتوحُّد والخرافة
لست مشغولة بما يدور خارج شباك غرفتي.

ثمة قارئ كف صادفني الليلة
في مقهى صغير سمّيته "أرامل ماركس"
ولم يبن لي إلَّا عالمًا من وهمٍ
بين تلك الخطوط المتشابكة
لباطن إحدى يديّ، ممسكًا إياها برفقٍ
كأنها موجة
ويا لغبائه لم تستقر معلَّقة نصب عينيه
والعدسة المكبرة القارئة للخطوط سوى ثوانٍ
وألقاها في الهواء كالحصاة
التي تشوطها قدمٌ شابةٌ في الطريق
وبدوتُ له ككتلة من الدمامل

حين سألته هل هذا عمل مجزٍ
ولمَ لا تلحظ حفرًا من الصلع
مَلأْتَ بها روحي
انضم يا قارئ الكف
إلى عمَّال مصنع
لمدينة متخيَّلة داخل رأس مدمن
وستهيِّج أفكارك من الأسى
الذي ستلحظه بين كفوف جمْعٍ من المجاذيب
قليلي الحيلة
تحت كوبري المعدات الثقيلة
عندما ترى أيديهم مضمومة للأبد
في سمْت لكمات
لا يعرفون أين اختفت تلك الوجوه
التي ستسدد لها بعنف

كأن قبضات أياديهم
ليست سوى كرات من حديد في طيرانها من الأجساد
منفصلة عن المعاصم ولا مبالية بشيء
إلَّا بهدف الوصول إلى تلك المدينة
وتلك الوجوه
التي لن تطال إلَّا بالتدمير
وأرامل ماركس
وهنَّ يدخنَّ النبتة الشريفة
ولكن لسوء الحظ
ما كان منهم إلَّا سلْخ فروةٍ لرأسٍ مدمنٍ
هي روحي
عائدة بحُفر من الصلع
لاختلاق صورة ذهنية عني
وتلك المدينة وتلك الوجوه.

أنا المرأة المثال
داخل رأس مدمن
مدينة متخيَّلة
وكل هؤلاء الأوغاد النيوليبراليين.

كم الساعة الآن؟
هل تعرف؟
كم سيجارة دخنت في سريري
هل بودِّك العد؟
كم جنيهًا في محفظة نقودي؟
هل هذا شِعر معاصر؟
كم روحًا بداخلي قتلت لأصل إلى هنا؟
هل أنت حقًا الحب؟
كم وظيفة احتقرت في مدينتنا؟
هل نظرت مرة ليدين شريفتين؟

قدمٌ عرجاء لم تكن سوى أنتَ

لماذا لم تأتِ لأراك
هل مُلئت ذرات قلبك بالضغينة المفقودة منكَ لسنوات
وصرت كالأبله المريض تحرس كنوزها لأجلي.

استمر يا صديقي فلم أعد معنيَّة بانتظارك
ثمة لمعانٌ في عينين سوداوين لشريك
ملّ غيابك بعيدًا عني
وصار ولَعه بتحريضي على نسيانك

خارج السيطرة
كأنه صدى لصوت مستعار
يضرب من وقت لآخر بداخلي.

استمرّ في الغياب ولا تأتِ لتلمس قيدكَ
الذي ألفُّه كالإيشارب
حول روح عجوز
فلن أندم إذا بادرت وجئت في الوقت الخطأ
ورميتك بهدوء مُعَذَّب في الخراء.

صدقني ليست هناك من بطولة ولا يحزنون
في البحث عن مضمون لقصة
بين طرفين صارا تقليديين في الخصام
لم يعد في قلب مدينتنا المملّة مكانٌ لي

وكنت أظنك بالخطأ مكاني وتماديت في أوهامي
وصرت أتنقَّل مفلسة لتأتِ وأراك.

ماذا تريد من روحي الكبيرة
التي حملتك سرًا بين طياتها؟
هل تشفى من حماقاتي معك
عن الحب من طرف واحد
لو علمت أنني بعت أيامًا مُوحشة
غِبت فيها عن عينيّ
لعابرين كنت أجري أمامهم
في الحلم
في اليقظة
لخوفي من وجوه الثعابين
التي ستلدغني في قدمٍ عرجاء

لم تكن سوى أنتَ
عندما تكاثروا حولي وهددوني
بقطْعها.

فلتكن كما تحب يا صديقي
رفيقًا للضغينة والخصام
ودمت بخير بعيدًا عن سمائي.

كمن يكتبون معًا

'أقيموا بَني أمي، صدورَ مطِيكم
فإني، إلى قومٍ سواكم لأميلُ'(*)
ألا تزال تذكُرُ
ما قلتُه بأسى كمن يتحدثون عن علم الاقتصاد العصبي
بلا خيالٍ عنيف
كمن يكتبون معًا بأسماءٍ مستعارة
رواية خيالٍ علميٍّ عن ثُلة من الأبطال

(*) الشَّنفَرَى الأزدي.

أكلوا مدينة صغيرة لا تصلح سوى بوابة
لنفسها على الأرجح
ليقال لهم من العالم
لمَ كتبتم جملًا قصارًا للتعبير عن ذواتكم؟

أليست الحياة صابونة رديئة محلية الصنع
والجميع، وأولهم أنت، متشبثون بأطرافها
الذائبة بفعل الصهد
كن منتشيًا وانتصرْ على انكساري من مسٍّ
أصابني في ثوانٍ.

كن جبارًا يا عشيقي ولا تمهل روحي
عناقًا لوداع
ولا تبتئس لأجلي

أنا مجرد بطلة حالمة
أرادت أن تحرقك بين أكوام من الزبالة
ثم تعاد بين ذراعيها البضَّتين
رمادًا.. له طعم ولون ورائحة
ونسيان أبدي.

ملاحظاتٌ حول احتضار العنب

بالجذع الذي لشجرةٍ
والقدم التي لطائرٍ
والبطن التي لظهيرةٍ
والفم الذي لليلٍ
والقُبلة التي لنهرٍ
والموسيقى التي لكمانٍ
والغراب الذي لـ"سلفيا بلاث"

عُدت إلى غرفتي وليس من حل أمامي سوى الطيران
بين ضفتيّ نهر صغير والكفّ عن التشكّي من خيال
قعيد ليس بيديه أثر لحياة لمَ لا أصدق أنني سيدة خيال
عجوز ولديّ قمرٌ مُضاء بداخلي
وكم من رجلٍ أحمقٍ سكنني وأنار غرفته التي تخصه
بضوئي ثم طرد فجأة من ذلك الإصبع الصغير في
القدم اليسرى مخلفًا وراءه - كذكرى - أثرًا باقيًا لا
يزول
شبيهًا ببقعة دم متجلّط
حتى صار جسدي وهو عارٍ غيمةً محاطةً بالدماء
وكان لطلقائي حظ أفضل مني في الهجران
فقد صاروا جميعًا مؤلفي رسائل لنصف
غرام مزوَّرة
مثل جبال مزوَّرة بين عاشقين صغيرين
وأكلوا فردًا فردًا جزءًا كبيرًا من خيال

عجوز يبدو أنه يتضاءل داخلي
وتطير منه رَغاوٍ كثيفة لأتضاعف كغيمة
كأنني ورثت مجرد سماء عادية
عن عجوز ميتة هي أمي.

لا أنتبه ليدين تتحسسان طيفًا لحبيبي في زيٍّ مدينة البحر
عندما أسند رأسًا خاليًا من أفكار ومعانٍ فوق قاعدة بانيو على شكل حرف z
أنبض بالعطف عندما أراه مجسدًا
وآمره أن يأكلني ويرميني سكرى من موته تحتي
كأنه مجرد قطعة من صابون نابلسي ألعب بها بين إصبعين
وتختفي للأبد بين رَغاوٍ ومياه..

لم أجرب
ولو لمرة واحدة في العمر خلطها بالنسيان والتذكر
ثم أبدأ كسيدة خيالٍ عجوزٍ ولديّ قمر
مضاء بداخلي في نثرها عاليًا عاليًا
حتى يغمرني الألم وأتحرك خفيفة خفيفة بلا أحمال.

أرشق روحي بالإبر بين أرق وآخر
أشرب سيجارة "مارلبورو" أبيض وكوبًا من القهوة
أشغِّل الراديو لأسمع مزيكا وصوتًا لمخنث في إذاعة FM
أذهبُ للاغتسال
أدون سرًّا:
ثمة رائحة
لرجل مسنٍّ وصعلوكٍ لم تقبِّله شفتاي بعنفٍ يُدميني في الليل

أقرأ كتابًا عن المعاصرة لرسَّام عربي
أفكر أنني ضائعة وبلا رفيق
أذهب لمقهى صغير لكي أنشئ
أصواتًا تؤنس وحدتي
أكلم صديقتي عن نصف غرام بداخلي
أظل أسيرة لكوني لن أحب
رائحة لرجل مسنٍّ وصعلوكٍ
أتسلَّى برفقة أحزانٍ عادية لرجال محترمين في سن أبي.
أكف عن الثرثرة عن ملائكيتي للحمقى والعميان الذين لا يرونها من عدسة كاميرا "سونيك".
أعطسُ فجأة
لديّ رغبة في التبوّل ممدة في بانيو على شكل حرف z هناك في البيت.

أركب تاكسيًا
أسمع صدى لصوت بذيء بداخلي
أرن جرس الباب.. افتحوا لي إنني ضائعة وبلا مفاتيح
أركض في الحلم ثم أستيقظ مذعورة في سريري
كم من ضجيجٍ لعربة إسعاف مُلِئَتْ به غرفتي
كم أنا وحيدة يا اللـه من دون مرايا.

بالأمل الذي لمريض
والترابيزةِ التي لعناق
والدولابِ الذي للاستغماية
والملاءةِ التي للتلامس
والصوتِ الذي لغنْجة
والفجاجةِ التي لصعلوك
واليأسِ الذي لقادمٍ لا يراني
والإغفاءةِ التي لسقوط.

بودِّي أن أموت بالقرب من رفيق لم أصادفه
ولا يخيل لي كيف أذهب لسجن يتشكَّى منه محبوه ليلًا ونهارًا
كأن تسمع اثنين ينظران لاثنين.

هل أنا مهِيضةُ الجناح ولا أجرؤ وحدي أن أحترق
كالوردة الملونة التي تسرُّ الناظرين
أليس بمقدوري الذهاب إلى حفلٍ موسيقيٍّ وحيدة بلا رفيق أو صحبة
أجلس معطَّرة في كرسي بجوار سيدةٍ في مثل سني
ولديها عائلة كبيرة تخربش
في كومة أكياس من الشيبسي وتملأ روحها التي تشبه أجولة القمح بالاحتشاد.

تبدأ بوابة الحكي فيما بيني وبين جارتي لمساء مملٍّ وطويل عن التدخين

وتلك الكاميرا التي لا تفارق يدين بضَّتين هما لي
هي كأربعينية خجول تتساءل بصوت ساكسوفون مع
مَن جئت لتســمعي موسيقى "الراي"؟ ولمَ تكثرين من
التقاط الصور والتدخين؟ وفجأة يلتفت رأسي كالوردة
الملتوية بأســى وأســرد كذبة اعتدت عليها لأُطَمْئِنَ
العالم.

عائلتي ثرثارة وتحتل أول كرسيٍّ بين الصفوف
وبودِّي ألَّا أكون برفقتهم حتى تبدو التفاصيل أمام
عينيّ جليَّة ومغسولة بالوحدة وأصوات الغرباء.
العالم يا أختاه ينقصه التخلي عن من تحبين وهو غير
مفقود
وأمام عينيك يسبح في قطعة موسيقى
ثم ألقي عليها سلامًا نسائيًا شبيهًا بالمودة التي أهبها
لمن يحتار في أمري هل أنتِ شيطانة أم ملاكة؟

أنصرفُ بخطًى مسرعة وسط جماهير سينما الترسو
الذين جاؤوا فرادَى وجماعات
من أجل تسلية روحي بأفكار بهلوانية عن الحب في
قاعة للعب الموسيقى.
أعود ساهمةً لتلك النقطة التي أبحث فيها عن موتٍ
شريفٍ يخصني
فــــي تلك المســـافة بين كوبري قصــــر النيل وجاردن
سيتي
أفكر في جدوى روح لوردة خارج الإصيص
وبودِّي أن أغمرني بمياه جديدة
ما هي إلَّا الأطر النظرية لشكل محاولة للسقوط
كأنها قفزة خاطئة للسباحة ليلًا بين ضفتيّ نهر صغير
والكف عن التشكِّي من خيالٍ قعيدٍ ليس بيديه أثر لحياة
تتبعها مراثٍ عن فضائلي

وكيف أنني لم أكن سوى عطر حاد ومسلٍّ لا يزول
أتوقــف عن النهجــان وأهبط بقدمــيّ الخفيفتين على الإسفلت.

أهرب للمشي بإلقاء عبوة بلاستيكية كانت بين يديّ البضَّتين في الهواء.. الهواء الهواء
مصادفة ألتقي الرجل المغرور، مؤلف كتبٍ في مقهى صغير
اعتدت في رؤياه تأمُّل رفيقي جالسًا في زيٍّ مدينة البحر
بين صخوره المتراصة فوق بعضها بعضًا
غارقةً من رأسي حتى أخمص قدميّ في حبٍّ عابرٍ
ولا سبيل لشفائي منه سوى تدوينه كالهراء
ولم أقل يومًا لأحد أيًّا كان إنني لست سوى مؤلفة

خواطـــر عن رفيـــقٍ نحيفٍ لم أصادفـــه كان لروحي ظاهرها وباطنها ولكنه حيوان
ولا يستحق مني سواء كنت شيطانة أم ملاكة سوى الوأد
فليس له تجسيد من لحم ودم.

إنه كالطيف
كالظل
كالتراب
كالابن المسن
كالعاشق الصغير
كقطِّ الشوارع
كالفأر
كالكلب الأجرب
كالليل

وإذا بهذا الرجل المغرور، مؤلف الكتب
يتجسَّد أمامي مرةً أخرى في لمْح البصر
ويتساءل.. يا أختاه ألا تعوز العالم سردية كبرى
عن الأحلام
ويتناسَى أنه تعوزه أيضًا لغة للنقود
وتوافه الأمور في آنٍ واحدٍ
حتى لا يغشَى عليه وينكسر
كالزجاج
كالعطش
كالتسلية
كالبلطة
كالوحدة
كالعرسة الذميمة
كالجوع

كالمورفين

كالمحبة

كالموت.

حوارٌ بين غزالة وسفينة البحر

هلمُّوا إلى الطبيعة
لقد صارت الأشياء جامدةً
وبالنسبة لي كأخت لغزالة
أبحث عن معتقدٍ صادمٍ خارج الغابة
كأن أنتظر فوق شاطئٍ لمدينة البحر
وأصرخ باسم الذراع التي خطتني رسمة تخييلية
وباسم السواعد الحالمة بتجسيدي مرئية ومداسة بالأقدام

ليس لـــي من عمل ســـوى أن أنقل مـــن مكان لآخر مسافرين
غلبتهم أوطان بعيدة عنهم
بينما ينظرون إلى ضفافها البعيدة
من منظار كبير في مقدمتي.
أنا سفينة البحر
الشبيهة بالآحاد الضائعة بين نقطتي التقاء لعاطلين
ابنة الصوت الكتوم لاستعارة في حلم
ومجاز التردد في صوتٍ لشابةٍ عجوزٍ
كأنني سفينة حُبلَى بمعانٍ زائلة
بودِّي أن تحملوني بداخل تلك الغزالة
الهاربة مني إلى أن تلضمونا كالخيط والإبرة في محطات وموانئ وأسفار.

هلموا نحن ثنائي لمعانٍ طارت من رأسٍ لرجل
يقال عنه إنه شقيق للثلوج وصار معطوبًا كلية.

أنا معجزة من خيال
وثمَّة وخز لإبر بين ضلوعي
لكوني أناديكم ولا تلبية منكم
للمكوث فوق أرصفة ومقاهٍ وصيَّع ووسط عشاق صغار.

لمَ لا أرشق بسهولة وتمتلئ تلك الغزالة الأخت
بذلك الحشد من المسافرين وبي وقد أبحرت بنا
بين ضفتين حادتين لروحها
كأنها هي السكين وقد انطلقت للنحر كالسهم لأموت
ولديّ رسالة

وقد صرت مفيـــدة كالقوس لتلك اليد التي أمســـكتني بحنان
حتى لا تضيعني
من بين أصابع بضِّة ومطلية بالموسيقى والشر
لعجوزٍ وقد صارت شابةً
وسط جمْع من المسافرين بداخلي.

أنا والغزالة
أنا وهي
ماضيتان إلى نقطة الأقدار
بينما صوتٌ لبكاءٍ مكتومٍ كالهمهمة
وانطفاء لسيجارة بفعل عصْفٍ قاسٍ.
ثمة رياح هزتني
وقد ارتبك ذلك الجمْع من المسافرين
بداخلي

وضربتْ مياه كثيفة أركاني
وتفككت أوصالي كالخردة البشرية
بين ثقل الحديد وطفْو الخشب.
أنا السفينة الحُبلَى بمعانٍ زائلة
يزول عرش رسوِّي فجأة
فوق شاطئ لمدينة البحر
ولن تمنِّي غزالةٌ نفسها بأن أجرَّ بداخلها
كالمجاذيب.
بودِّي الطفو ولو أن وعدًا يخالف كتاب الأقدار
ويطيح بكاتبه لأبقى قليلا
مودِّعة مرآتي وشلة من مرتادي تلك الكازينوهات
المزدانة بوجودي
بهيَّة ولامعة ومنكسرة لأجل أقدامهم المسافرة
إليَّ ومنِّي.

لست شيئًا ذا ذاكرة لو ضعت وضيعت
بماذا أطال هل من مَنْجىً لثلاثتنا
وقد صرنا أنا والمسافرون داخلي
كلابا تعوي
في أحشاء غزالة واهنة
مما أصابنا من موت وذعر.
ربما لو استطاعت الركض وحيدة فوق الإسفلت
ودلقتنا جميعا بلا ترتيب كالطعام الفاسد
المخلوط إنسه بجماده
وغسلت فمها وهدأت
وجاء مُسعفون في زيِّ الطوارئ
وسارينات عربات برتقالية ذات ضجيج
وعمّال سفن لإصلاحي
وحملتنا تلك الأخت الرشيقة
بداخلها مرة أخرى

حتى نعودَ برفقتها للشواطئ والكازينوهات
والخرائط
كأنها هاربة كالحب
من بين أيادٍ لمسافرين أدماهم الأرق
في انتظار أن تصير مجرد معجزة صغيرة
لغزالة واهنة ضربًا من الواقع.

تعويذة للإقامة على الأرض

استيقظتُ في سرير أمي
كان لصوتها في الحلم ضجيج
لم أعتده بينما تنصحني بالحب
والركض وراء تلك الرائحة التي
تفوح منه
بدلًا من التردد طمعًا في تعويذة للإقامة على الأرض
ترافقني كصدى لصوت
هناك في مدينة الإسفلت.

ما الذي خطفني من النوم وطردني
'خارج المكان'(*) لأتأمل قرية بكاملها من عدسة الفقد.

رأسي يؤلمني
وبعد قليل سيتمدد الصداع ويسري
في أوْصالي كالمخدر
وليس هناك أمل في الإفلات
من بين يديه الوهميَّتين
إلَّا بانتظارٍ فارغٍ لخلاصٍ مفلسٍ
وعاطلٍ عن العمل
لاستحالة أن تكون لأصابعي
أفعالٌ خارقة
لألتقطه واقفًا وأعصره

(*) إدوارد سعيد.

كأنني هو في مرآة لبناية عالية
وسط حقول ممتدَّة أمام ناظري
ولا أراه مجسدًا
ولا يراني كجثة هامدة لصوت غادر أذنيَّ
ببطء ولا يزال يلاحقني في الصحو والمنام.

نحن شبحان متلازمان
ويلزم أحدنا أن يقضي على الآخر
فور التيقن من كونه غائبًا للأبد
وليس واردًا التمهلُّ فيما بيننا
لتؤكل الحسرة في ثوانٍ
ويُرْشَقَ كلانا بالاكتئاب.

صاحبا السجن

بودِّي الليلة في منتصف سبتمبر
أن أكتب لكما
يا صاحبيّ السجن
إنني مريضة
ولا علَّة في جسدي البض
وليست لديّ شكوى من سقمٍ ما
آكل وأشرب وأتدحرج من سرير نحاسي
إلى آخر

وكأنني ابنة أصيلة للكسل.
جالسة كأميرة نائمة في قصر على
مشارف الحقول
أبدِّد الوقت بتدخين المخدر
وقراءة معنى لغياب صوتي
صرتُ خرساء لديها أذنان تعملان
بكفاءة حاسة الشم
لصوتي المفقود رائحة تمتلكني وتُدميني.

هل أنا تلاشيت واندمج كياني في مكانٍ غامضٍ
وكاد ما تبقَّى مني كصورة أن يطير ويتبخر
ليمسك بين يديكما
بلا صوت.
يا صاحبيّ السجن
كيف لي أن أشفَى

حياتي بالخارج تتمطَّع من الملل
وتفكِّر بصوت أسمعه بعنف وصخَبٍ
في المُضي قدمًا للأمام من دوني
مهجورة ووحيدة مثلكما
لا تسلية ولا حب ولا قُبلات
ولا حتى أثر لحياة
فبماذا تنصحاني؟
ولمَ لا تتطوعان من قبريكما
بفعل بسيط لن يكلف أيًا منكما شيئًا
بالخروج في نزهة ريفية
وتأتيان لي بصوتي المفقود
واقفًا أمام الباب
فليس كثيرًا على حبيبٍ غائبٍ
أن تلامساه برفق وتعصراه بغلٍّ ودود

حتى يتحطم من الشوق بين ضلوعكما
وكأنه ظلامكما المشترك وقد تجسد
في أمِّ أعينكما
وانطلق ببطء كالسلحفاة
وها هو أمامي
يرن الجرس
مثل رجلٍ مسنٍّ
جاء لعناقي واقفة
بمجرد أن فتحت ذلك الباب
الذي لا أعرف لمَ أنا محبوسة
داخل جدرانه
ومن هم هؤلاء الذين
يصافحونني بودٍّ لأبقى هنا
فقيرةً من المجاز؟
وبلا صوت غاب عني

ورافقني مدة شهور
كقصيدةِ شعرٍ
في مدينة الإسفلت.

الشيطان داخلي

هذه الجُمع
التي يسبقها انتظار
ويليها مشيٌ طويلٌ بحثًا عن الجنة
هل تعرف نعيمها امرأة غيري
وتؤكل خارج أسوارها
مثل الصيد السهل
وتمنِّي نفسها أن يكون
القناص مصابًا بالبطء

وأن يظل راشقًا عينيه
كأنه ملاك لدفء خادع
وها هو يدرب نفسه على موتي
بالتلفُّت حولي
لأنهارَ بين يديه
لساعاتٍ ودقائقَ وثوانٍ
وأُرمَى تحت قدميه ذليلة.. أقبِّلهما بعنف
لمَ ليس مسموحًا لي باحتضانهما
ولا يزال الطعن لا تسال لأجله الدماء
فهو سيدي ولا يفكر فيّ
ولم يلقِ نظرة مستسلمًا لإغوائي كفريسة
إلَّا لاصطياد ذلك الشيطان
غير المرئي داخلي.

بودِّي أن أنهض واقفة

وأكف عن شم جوهره الذي أراه
يهتز بألم تدمع لأجله عيناي
ممدَّدة فوق قدميه
كأن محارة بحرية تتدحرج برفقته
ولا يراها سواي
كلما وقعت في حبه
وأدماني بذلك الفُصام المسيطر
الذي حيّرني
وجعل المشيَ الطويل بحثًا عن الجنة
روحًا لطائرٍ رخ جسور تهيَّأتْ وخرجتْ
مني مزدانةً بفرح يشوبه النقصان
إلى القعود فوق رصيف بلا مارة بين نهر
وكوبري
لأنفض عن ملابسي آثارًا لغبار
ليصير لديّ معنى لذلك الشيطان داخلي

وأمسكه بين يدي البضّتين
بمثابة درع للفرار من الوله بالقناص
في ظلمة للبزوغ
لأسترد كالنساء الأفريقيات الكرة
وأشوطه كالجثة من أمامي
أثناء التسلل داخلي
لجُمع عديدة فائتة
يسبقها انتظار
ويليها مشي طويل بحثًا عن الجنة
فليس في نيَّتي الاستسلام بوعي كامل
لوهْمٍ سافرٍ لقناص بودِّه أن يتراءى لي
سجانًا لشيطان داخلي.

في مديح الكسل(*)

وصلت إلى مقهاي القديم
في تلك المدينة الصغيرة الشبيهة بضرطة
صافحني عاملان طيبِّان أحدهما أعرج بشكل لافت للنظر
والآخر مُلِئَ بالحزن والأسى في سن الخمسين
هل أنصحهما في المقابل
كيف ينشئان معًا معنى عنيفًا داخلهما

(*) برتراند راسل.

ويصيران صاحبيّ
ليجلسا بجواري في نفس الترابيزة
التي ياما بدَّدت في أجوائها
سنواتٍ لأخطَّ بيدي اليُمنى جملة مزوَّرة
سمعتها فجأة وآمنت بها
وظلت مخمورةً بداخلي
لألوي بها عنقي.

مُنطلِقة من دون تفكير
في ذكرى صديقة بعيدة
أكَلتها الوحدة مثلي تمامًا
ولا تتشابه وخَزات إبرها لكلينا
هي لديها بلاهة من نوع آخر
لا تشبه بلاهتي

وتظن أن للجحيم بابًا وغرفة ودشًا دافئًا
وترتاب في كوْني مخلوقة سماوية
في زيٍّ عربيدة.

لِمَ لا يفكر رجلها إلَّا في لحْسها
كثمرة مانجو كاملة
ولا تزال يداه مطوِيَّتين للخلف
ولا تنبس شفتاه ولو بنداء سري
لرغبة ملقاة على بعد خطوة
من ميدان مزدحم بالمسافرين.

أنشودةٌ لمكان كامل الأوصاف

أين أقفالي؟
ثمة باب لفراغٍ كالقشور
الخارجة من تحت مخرطة أو سكين يخصني
بينما الوجوه التي تنهض بالعمل الشريف
لإطعام بطون جوْعى
تتأمل وهمًا لقبيلة من النمل
محمولًا فوق الأجساد الهشة
بين الموكيت الذي صنع في بلاد فارس

وحفرة إسمنتية لجدار
كمحاولة للمكوث وراء معجزة بين فتى وفتاة
لبَيْت الكلام
إذا تبادلاه بلا أصوات
وصدى يرن في فضائي.

أنا حاملة الجدارن
وكلاهما بلا رسالة أو رسول
وراعية عطوفٌ لجحور النمل والضعاف
ولدت في شتاء لسكارى
بودِّهم إرسال السلام
لتلك الأيام التي كنت فيها
صلفة كالمفاتيح المخروطة لتوِّها
لا يدخلني أحد
ولا يخرج مني سوى مُردِّد لأنشودتي

كمكان كامل الأوصاف
حتى صرت تعويذةً لمرضى جاءوا إليّ
وأحبوني على مهل
وأفلتُّ من بين يديّ قُطّاعُ طرقٍ
في زيٍّ برجوازيين صغار
يتخيلون فور صعود السلالم المؤدية لبابي
أنهم امتلكوني وصار وصالي
هينًا وسهلًا ولا يحسبون لي حسابًا
كأنني غرفةٌ لغسيلِ أرواح موْتى
على الرغم من كوني شفافة
وبإمكان أي عابرٍ رؤيتي محاطةً بالزجاج
وثمة خيالات لحركة في مبناي
ودفء مطرود على المنتظرين لموسيقاي

في الخارج
ولا يزالون حمقى لا يحزنون لاحتمال أن أكون مفقودة،
وليس لي وجود من الأساس سوى في الأحلام.

السقوط

لا ينام كلبي
أراه مستيقظًا من ليلٍ إلى آخر
بين مقهى صغيرٍ وسريرٍ في غرفة بنسيون
تمضي أيامه كأنها خردةٌ لجمْعٍ من العربات الملاكي
تمد له أيادٍ لرفاقٍ
لتنتشله من الخرابات التي مُلِئَتْ بها عيناه
ويفلت منها كالأحمق الذي ينتظر شخصًا ما
في علم الغيب

سيأتي لروحه بسحر من بلاد بعيدة وتشفَى بين يديه
اختفى كلبي وصار لا يطاوعني وصرتُ وحيدةً من
دونه.

كلانا في مواجهة رفيقه وكأنه ليس جزءًا من خريطته
ولن تكتمل قراءة أينا بمفرده.
أرددُ على مسامع كلبي حواديتَ يشيب لها الولدان
عن الفقْد الطويل.
لمَ لا تفكر في أنني قد أهرب من هنا كليةً كما فعلت
كأن ذلك حدث بالأمس
انتظرتك حولًا كاملًا لتراني بين الستائر السوداء
وتلحسني كالغبار دفعة واحدة
أيةُ نشوى ستصابُ بها حواسِّي
بينما أصدق أن لسانك القذر
حبيبٌ ليس بودِّه أن نفترق.

أي وهْم كان سينكسر لنصعد إلى وهْم أعلى
ويمتلك كلانا سلمًا من الأوهام الطيبة
لو جئت في وقت مبكر عن ذلك
وبدلًا من إضاعة العمر في التأنِّي
كنت سأهبك روحي كقربان للذبح
إذا لم يصر لي مخلبٌ من غبار
ينهش في أرنبة أنفك
وهلال عينيك الفاتنتين
ويعريك تمامًا من اللـه.

أيا كلبي الداعر تعالَ إليّ
أنا لا شيء
بل أقل من لبؤة تجثو حول رائحة لشواء
في بناية مجاورة

أنا صعودٌ بلا إرادة لفعل
هل سَيُحاط عنقك بالقلائد
لو قلت بصوت خفيض لمهزوم
نفد صبره.
اخطفني أنا صيدك السهل
لا تظن أن الحب صنعةٌ
ومديةٌ باردة
فلست سوى لهيبٍ يرى بين قدميك
النحيفتين غبارًا لستائر سوداء
وهو راضٍ تمامًا حتى تنال منه
قطعة من الأسى والليل والفقْد الطويل.

بودِّي تمشيط فروة رأسك
بينما مخالبك ترتاح فيّ

كأن نبعين في مصب واحد
خرجا ليعلِّما المتفرِّجين
ما النوم برفقة حبيب غاب مدة 365 يومًا
وعاد فجأة للطعن والقبلات.
هل أنا وأنت برفقة بعضنا
لسنا سوى مجرد صورة لشلة
في مقهى صغير
يدعى "أرامل ماركس"
أليسوا هؤلاء من ظنوا
بأن أرخص ليالٍ
بلا حكْي
وكأنهم باعة جائلون للصمت
بين دخان المداعة ورمية النّرد
وأن الطيور المهاجرة

ليست حزينة لمصير حب طارئ
أتلفه النقصان.
جرّب سماع ألم صوتي
من بين شجنٍ لتوليفة غيابٍ ضربت حناجرهم
هم مثلي ومثلك متعبون
ويهابون الفقْد الطويل.

ألا تعرف ذلك المكان الذي للاختباء وسمّيته
'مُقدمة لفقدٍ طويلٍ'(*) في شرفة بيوت الأدوار العلوية
ألم أحكِ لك عنه يا كلبي؟
عن ذلك المساء الحزين الذي غطى رؤوسنا بالثلوج
وكيف للطبيعة أن تكون في لمح البصر سلعة منيوكة

(*) هيثم الورداني.

وعديمة النفع في صحارٍ مترامية
أمام موكبٍ لوداعٍ قصير
في شرفة بيوت الأدوار العلوية
بينما كنت أنت برداءٍ أسود هناك واقفًا للمواساة
بتلك الوردة الشبيهة بالمرض
الوردة الملقاة أمامي للاحتضان
من ذا الذي لا يحتضن وردةَ كلبه وسط جمْع من الغربان ينعقون لسقوط رفيق من السرب فجأة
كأن لجثمانه مسارات عالقة بمصير رجل أربعيني سيئ الحظ
كمن فقد معانيَ باليةً
وتهيأ للسقوط كغرابٍ في ظل شجرة
لا تثمر نفعًا لأحد.

كان ثمة صوت لصباح

صوت لخشخشة ورقة سقطت على الأرض
صوت لمغنية واثقة في نفسها
وهي تشدو
"الطير بقى لعبي ومتهوِّر".
بينما هذا الجمْع الحزين من الغربان
لا يزال بين السحب في انتظار أن يواروا
أخاهم التراب
بالحفر بمنقارٍ تحت ظل لشجرة
من أجل قبرٍ صغيرٍ
وأنا وأنت نرقبهم كأننا
خارج المشهد
كمراهقيْن جاءا من أجل فرصة
للبحث عن عناقِ
بين تلك الوردة الشبيهة بالمرض

وتلك الملاءة البيضاء التي تفرِش في منتصف جسدي
عندما يغيب صوتٌ لرفيقٍ وأراكَ أمامي كمرض لوردة
في شرفة بيوت تلك الأدوار العلوية
التي يشملني التشاؤم بداخلها
عندما أتلفَّت حولي كأنني دائمة السقوط منها بلا حركة.
ومن باب الوفاء لرغبة قديمة في الانتحار من شرفة
بيوت الأدوار العلوية
وبما أنكَ عادة ما تبدو لي شريكًا في جرائمي
ألا تحب أن نذهب معًا لتعلم "الكونغ فو"
ونمارس أنا وأنت القتل
ونكون عنيفين بكامل الوعْي بين خطة وأخرى
ربما يذوب ذلك الجليد الذي مُلِئ به موعد بيننا
ونطهو بالدم شبقًا بطيئًا على وشك الزوال
فكِّر معي بمَ سنبدأ
ومن أية مدينة؟

وهل سنظل وفيِّين لخرابٍ عاطلٍ عن العمل؟
إذا أتيت بلا مقدمات
كحلم في معركة "بورنو" بين امرأتين
في شريط فيديو ليوتيوب
وظلت عيناي غائمتين من مصادفة للقاء
مفقود لكلينا بصوت أنثوي
لم يكن صداه
في طرفي سماعة "الهيدفون"
سوى أنتَ وقد تجسدت في سَمْت مرضٍ لوردة
أيا كلبي الداعر الحبيب.

III

كرسي في فندق الأرق

طفولةٌ تخريبية

من أنا؟
أليس هذا الوهم جديرًا بالتدوين
لا ليقال لحبيب غائب على الطرف الآخر
من التليفون.
بينما تطفئ سيجارة يونانية رخيصةً في بنطالي
أليست لديّ غيمة خفية
في أحد جيوبه ويومًا ما
سأفك أزرار قميصه الكاروهات الكحلي

وآكله كطبقٍ من الرمَّان المفروط.

لمَ لا أرتبك هكذا كالأطفال المراهقين
كلما تجسد وهمًا لغيمة بين ناظريّ
"هل صرتَ كمثالٍ لذاتٍ جوفاء
لا يُسمع بداخلها أنين لأصوات"
من أنا؟
أتساءل وعندي أمل
بألَّا أكون شيئًا على الإطلاق
أن أكون ظلًا لمرآة في حمَّام عمومي
لمقهى "أرامل ماركس"
وأن يرى من خلالي وجوهًا لعابرات
يؤنسهن غزير الكحل وأحمر للشفاه
التي بها أثر لالتواء خفيف.

مَن أنا؟
أجلس وأفكر
لم أكن مجرد عشيقةٍ لمسافرة
في نفس عربة القطار
ألهبتني حماستها لي
في نظراتٍ تعدُّني لثوانٍ
أن أكون روحًا لرجلها في رحلة لقطار المدينة
هي ممثلة إغراء لا أعرف لها اسمًا
وأنا جمْع لحواس جمهور
ولعطفٍ نابضٍ بين عينيّ
لا لشيء
سوى لكونها صلبة
ولن تُجهز عليّ سوى في تلك اللحظة الصادقة بينها
وبيني

وألَّا تصير متقِّمصة لشخصية فيلمية
أن تحبني ببطء أهلكني خارج اللوكيشن
وبعيدًا عن المجاز
وشبيهًا بالرسائل القصيرة
في قصص يحيى حقي
من أنا؟

هل كرسي في حديقة
أم حديقة في كرسي لظل حلم
أن أكون عاملة مسلِّية في فندق الأرق
أن أهجر "الكيبورد" وأشعل سيجارةً لمخدر
وأنادي ألمًا منزويًا في مخابئ أرواحٍ لرفاق غائبين
بالصفير والغناء
أوو آه أوو آه
من أنا؟

بودِّي أن أكون طفلة كبيرة
يُعاد تأليفي على مَهَلٍ
في فم أمي الميتة
وإذا سئلتُ عن الحب
أجيبُ بعد تسعة شهور
بلا خجلٍ أدماني
نعم نعم
أوو آه أوو آه.

كيف لا أعترف بالهواء وقد حملني لأطال
كالريشة بين يديّ وحشٍ كاسرٍ داخلي
صار لأجلي عطوفًا
وكفَّ عن الاختفاء
هل سيجرح كبريائي

لو تمنَّيت بألا أكون شهيدة لأي معنى لوطن
سوى لتلك المرأة الحمقاء التي
بداخلي كوحشٍ كاسرٍ؟
بمَ أدلل على كوني أنانية
ولا أرى التضحية لوطن
إلَّا رفيقةً لابتذال مؤجَّل
من جموع ثرثارة كفَّت عن فعل
لا يلوح لي أحد بأنني مجرد ضرطة
عميت عن الفرق بين يدين لي
لا بد لهما من شقِّ ظلام غرفة
بدلًا من انتظار نمور تكبر داخلي
لكوني لا أجيد شيئًا غير الكلام والشكوى
ولا أتدرب على القنْص
في غرفتي.

لسانٌ لأنوثة بداخلي

شـــملني الحزن في تلـــك اللحظة؛ التـــي تلفّت حولي فتى شـــبيهٌ بكَ، كأن روحكَ ألقت بيـــن يديّ مصادفة في مقهى صغير، كنـــت أتمناك بجواري تهمس على مقربةٍ من أذنيّ، وإذا بـــك أمامي في هيئة رجل آخر أطـــول منك قليلًا وأقل نحافةً، هل تحب أن تعرف كم عمره؟ خمَّنت أنه في الرابعة والثلاثين، أي يصغرك بعشر سنين، ولكنه لم يكن أنتَ عندما أطلت له النظر ســـاهمة، وعرفـــت أن روحي تطال بلســـان داخلي، يخص اللقاء بيننا فجأة أيها الزبال المسن؛ الذي يدميني

غيابه لليالٍ ونهارين، لا تُسِءْ الظن بي، بودِّي فقط أن أرى تلك العرجة التي لامرأة لعوب عندما تنهض إلى باب حمام عمومي لمقهى، وأتبعك لأرشدَ روحي كم أنت بائس وكهل، دون النظر بخجل إلى وجهي. هذا الخجل الذي أربكني لثوانٍ لمناداتي عليك "اِستنى ياعم اِستنى شوي"، هل أؤرخ لك أيامي ليكون طيفك ونسًا لي ولوحدتي، لكمْ كنت حزينة اليوم من دونك، واستسلمت لفَلَسِي وسأعود دون وداعٍ منك إلى مسقط رأسي، وسأنساك هناك، فليس ضروريًا أن تظل تضرب كالصداع بين ضلوعي، أنت خسيس بما هو كافٍ ولا تراني من منظار تطل به على مدينة في قارة آسيا لا أذكر ما اسمها.

عُد بخير لبيت لا تزال لك رائحة فيه، وتمنَّى لي أيضًا أن ألقاك يومًا ما بلا عطش، وأن يتوقف ذلك اللسان الذي يطال بداخلي عندما أراك فجأة وأكون سعيدة

وحسنة الظن بالحياة، أيها الزبال المسن، يا حبيبي يا أخي الذي يولد من حين لآخر بين سطوري..

أشفق على نفسي من التمني، لمَ لا تأخذني لليلة كأنني محظية وتنال مني شفتيّ وعنقي، وعطرًا ينز من أتون وردتي قبل أن أموت وتفوح مني رائحة بخور لموتى يطاردونني، بينما يداك النحيلتان كالراية البيضاء التي دمجت في نافذة بعيدة لحانةٍ يدخل ويخرج منها الموت لاصطيادي وحيدة.

ربما لو كنت طائرًا في مدينتي الأفريقية التي لا أذكر ما اسمها، وتطل بمنظارك بين خفايا غرفتي، لعطلت تهيؤاتي، وتحركت كمسافرة آمنةٍ في قطار، لمَ لا أقصُّ عليك خُرافة قصيرة عن فن الرسائل الشبيه بالنسيان والتذكر في آنٍ واحدٍ، لطالما زاد عُنفي تجاهك كلما أحضرت رزمة من الأوراق البيضاء، وقلمًا من الرصاص، وممحاة صغيرة بحجم كفي،

وجلست أخيط، فردتي إليتيك بروحي الطاهرة، بودِّي أن تمس هـــذه الروح العطوف بخــراء جلفٍ مثلك، وقعـــتُ في حبه بالخطأ، وكان مقدرًا بالنســبة لي أن يكــون مجرد أخ مطيور يتاجر فـــي الألفاظ، وينحتَ منها مجرد تراكيب جالبة للضجر، ولم أســمعه ذات مرة يقول رسالة بلا أداءٍ مسرحي لممثل مغمور، لزم علـــيَّ أن أعنِّفه عندما يهم كالمجاذيب في لحس باطن كفيـــن بضَّين لبطلة النص، التـــي أنقذته من الأوهام، التي دخلت في رأســـه بلا عِللٍ منطقية، لمحاكاة حس عاطل في حدقتيه كلما ســـر ورآني وسط جمع لهواة الشـــعر المعاصر.

لست نادمة لمنحي عطايا أكلتْ جزءًا من وجه صبوح لمسافرة مثلي، في عربة قطار تهتز مثلك تمامًا بينما تفض شريطًا لخزانة رسائلي، التي لم تُقْرأ، ومن بين سطورها ولدت أنت بحزنٍ وأسى أقل.

هـــل أنت عطوف حقًا، هل تصـــدق تلك الخرافة عن المجاز، ولا تزال وردتي تجف بين يديك القاســـيتين، وتفوح منها رائحة لصيـــدٍ كان مرميًّا، يا لحظك بين قدميـــك النحيلتين ككنز دخلـــت مغارته وخرجت منه مفلسًـــا بلا أثر لمطواة رشقت بين عينيك عندما تراني مستقرة في صندوق خشبيٍّ من قديم الزمان.

جرِّب وتعالَ لتلمس الكنز، بلا كلمة ســـر، ومغارة أنا في النهاية لست رفيقة لرحلة كما تظن، بل أنا الرحلة وثمة موسيقى لأجساد آلات تضرب في خيالك صفيرًا لأوركســـترا يخصَّني، عندما تنقَل قدماك من جبل إلى آخر وعندما ينادَى عليك من بين ترابهما في الأعالي: "إزيك يا عم اِستنى شوي".

لا أزال ممدةً في سريري، والساعة الآن الثانية ظهرًا حســـب التوقيت الصيفي لتلك المدينـــة الأفريقية التي

لا أذكر ما اسمها، وبودِّي أن أنهض من تلك المساحة مـــن العالم التي غابت عنها رائحتـــك لليالٍ ونهارين، ليس لكون لسان العشق مسيطرًا على حالي، أنا واهنة وليســـت لديّ تســـلية في هذه الحال سوى طيفك الذي لاعبني كأنني أتحرك مدة ســـاعتين بلا حقائب للسفر بين الثلاجـــة وغرفتي، لأضع الفريـــزر في داخلي، لأبرِّد اشتياقي لعناقٍ سريعٍ بين غريبين هما أنا وأنت، وقد تعاطفا مع بعضهما لهبوطٍ اضطراري بمنطادهما لليالٍ ونهارين في قارتين متجاورتين.

هل صادفك شيء من الحقائق هناك في تلك المدن التي يُمَدَح طقسها ويقال عنها في كتاب الأسفار، إن لهوائها نغمًا بلا رطوبة؟ ماذا بودِّك أن أسأل عن النساء مثلًا؟ وهل ملأتَ أنفك برائحة لوردة آسيوية؟ هل هذا عاطفي ومهٌّم أن أكون غيورة لأنك تبتسم كالأبله من عدسة السائح؟ وهل سيمد في عمر ما بيننا من هراء ماجنٍ

لم يكن سوى نيّات بين متلقٍ وملقن، بتكسير جمع من هواة الشعر المعاصر جدارًا بين زنزانتين بالنفخ في الهواء، أليس بوسعهم كمتطوعين في تلك اللحظة العامرة بوليمة من التعاطف سوى التحدث بصوت شبيه بالصراخ لبعضهم بعضًا؟ ولكلينا كسجيني وهم؛ حتي تمط حناجرهم الطيبة ليسردوا حكايا عن بيوت بلا دراما ليطمئنوا أنفسهم أنهم لا يزالون على الشط أحرارًا وطلقاء، وفيما عدا ذلك تهيؤات في تهيؤات. صدقني أنت زمن لوردة تهيؤات صنعته بيدي وسأبدده تحت دش دافيء، وما كان من جمْع لمد يد العون لجدار بيننا سوى إصيص في زيّ خيال لشعراءٍ جددٍ من الطين تخيَّلته، وأهديتك إياه، وهو حقيقي ورُشِقَ من بين كفيّ لتغطيَ عيناك بالنوم والأحلام والأوهام، وقد رُبِطَتْ في خيط واحد هو اسمي عندما تقوله شفتاكِ القذرتان فجأة لجمْع من المسافرين في الخيام.

من مقهى لآخر حملت حقيبتيّ الجلديتين وذهبت لركن قصيٍّ في ذلــك المقهى، الذي يســميه "الغرباء" في تلك المدينة الصغيرة الشبيهة بضرطة مفاجأة "مغارة المرأة ذات النهدين العجيبين"، وتمطَّعت لأكتب أغانيَ قصيرة ريفية لا مطلع لها سوى جملة ربما نسي شيئًا التــي لم تكن ســوى تركيب لعبارة ألفهــا زبونان لا يطولان في داخلهما شيئًا من المحبة، شيئًا من الحنين لهبوطهمــا كببغاوين يرددانها علــى مقربة من أذنيّ اللاقطتين لأصوات الطيور المسافرة.

نعم ربما نســي شــيئًا فيما وراء الضباب، فيما وراء السحب، فيما وراء ثلاث شجرات عجوز، فيما وراء الطريــق المعفرة بالتــراب، فيمــا وراء وجه جميل لفلاحــة ترعى كلبًا ريفيًّا مربوطًا في وتد، ومجموعة من الأغنام، بينما تلقي بيديها الخشــنتين فوقها كومة من القش الناعم، وبين شفتيها أعواد ثقاب كأنها تجهِّز

حريقًا لصورة ماضٍ لا يخلو من أحقاد العمران و'قمر سري'(*).

ربما نســـي شــيئًا، بودِّي أن أحفر لك بابًا في الفراغ وأخرج منه فضاءات صلبة وســيجارة أدخنها برفقة ســـهرة لجثمانكَ، هل أنت ولع بـــي؟ أنا المرأة المثال التـــي في ذلك الركن القصـــي هربت من القيل والقال لمهرجان الألوان في غرفة الكلام.

ســـبع أرواح في داخلي كالقطط ملَّت غيابك عنِّي أيها الفأر، الذي لا يعرف عن الخربشة سوى التأوُّه لنفسه بصوتٍ مسموع، ولم يجرب طلة ذميمة لألم ما، جَرب إن جـــاء الليل أن تذهب إلى ســـرير النـــوم كأن يدين ثقيلتين هما يداك، ولا تزالان تكبســـان رأسًـــا مدوَّرًا بجيش من المخدات.

(*) أحمد الشرقاوي.

أليس هذا الصداع مـــا كان مكتومًا وحريًا بالمرء أن يوقِف لأجله عمل المخـــدر، ليتضاعف بين أضلاعه ببطء، ويتجسّـــد في صالة بيت لامرأة أفريقية تحكي عن أسى المجاعات الروحيّة لقبائل من السود، وتسمع في عالم افتراضي أغاني الحقيبة التي يقال عنها زمن الفن الجميل.

كن كما تود في أرشـــيف المجاز، ولا تبتئس من أجلي أنا وأنت كســـلانان، هلا حضرت لنأكل معا سندويتشًا من الفول، ولتمضيَ دون تلويحة لوداع بين قاتل وقتيل بالقضم والطعن والقبلات.

طلع النهـــار وثمة ضوء يضرب ظلالـــه في حوائط غرفـــة فندقية، وشـــباك صغير، بمـــاذا أصف صوتًا لمغنيـــة قادمًا من بين ضجيج عربات لإســـفلت بعيد؟ أليـــس لدى هؤلاء المغنين أغـــانٍ دون كلمات عديدة،

وأوصاف لا تقال بدلًا مــن قائمة لرغبات بين مغنية ورجلها هزهما الشــوق، ثمة معانٍ لمنادية لا أعرف لمَ تتبعني؟ هل لأنها ظــلٌّ لي؟ أنا المرأة المثال حيث أرفــع كفي فترفع نفس الكف؟ أخفض رأســي فيكون له نفس الشــكل، وهكذا كأنني أتزين لقدومك فجأة بين يديّ بينما مــرآة بيت لعائلة ريفيــة تفصل بيننا، ولا أتحرك مبتســمة لأنال منك وأعذِّبك بخطوة للأمام.. تبدو أمامي كالملاقط وأبدو أمامك مجرد شعرة بيضاء في وجهٍ بضٍّ لمَ لا تنزعني بعنف ثم تحملني برقة من حافة الملاقط إلى خصلة تتدلى فوق جبيني؟ وتلصقني بالصمغ لأكون مختصــرة وخفيفة في الرؤوس التي أمامك في تلك المدينة الآسيوية اللعينة، ويسهل عليك التعرف إليّ في وجوه نساء تعبن من الحنين المدلوق بالمجان في وجه مســافر، مثل الطيور بين السحب، مثل مواد ملتهبة في عربة النقل.

ســلام عليك بين نقلة وأخرى لقدميــك النحيلتين أيها الزبال المسن الذي يدميني غيابه لليالٍ ونهارين.

خلودٌ نادرٌ أو الأمّ الشاعرة

لا حسَّ ولا خبرَ عني.

يقال لي ذلك بصوت مبحوح
من رفاق طيِّبين يشملهم فضول
أين اختفيت؟
هل صرت حصاة
تشوطها قدم شابة في الطريق
ورضيت بالنوم نهارًا

والذهاب ليلًا إلى محطة FM
برفقة جمْع لصوت مخنث
: لا هذا ولا ذاك أيها الرفاق الطيبون.

العالم طيب وجميل
وجدير بأن يُعاش
وليس له دخل على الإطلاق
فيما أصاب روحي من هوَس بالروايات القصيرة
كنت في طوْر وحش سيؤكل داخل بيت مهجور
تلف جدرانه الوحشة
بسبب طَرَشٍ منَعَ الرؤية عن عينيّ
صارت الكلمات تطير من كل زاوية
إلى أذنيَّ اللتين تدرَّبتا على خلْق إيقاع
شبيه بالموسيقى
وبحور الأشعار الموزونة

أسمع رواية قصيرة من متصل
وهي تبث من الميكروفون
وتضربني في الليل بواسطة شخوص
كانوا وحيدين بين سطورها
ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد
بل يتجاوزه للخبل إذا قُرِئَتْ قصتان
في آنٍ واحدٍ
كأن يجالسَ راوٍ عليمٌ مذكر قصته
التي يحاكيها في مقهى صغير
وكان لا بد له أن ينال ردًا مضادًا
لقناع في نفس اللحظة
ثمة تداخل لصوتين
لا توقفه تأملات
لم يُدّمَجَا

وكأنهما لحنجرة واحدة
: أنا والعالم
نتبادل التسلية
الوحدة لم تعد قاتلة
ولكن لا شيء فوق هذا المسرح
يوقف معركة في داخلي
ولمَ لا تمد يد خفية لإنزال الستار.

بودِّي فاصل بين شوطيْن
أنا مزدحمةٌ بذلك البطل الخرافي
الذي خرج من عربة الإسعاف
قافزًا في الهواء نازعًا عن جسمه
الإبر والمحاليل الطبية وجهازًا للتنفس
وكان لوجوده في صالة بيتي مجسد
وقْع سيئ على وجداني

هزَّني السحرُ فجأةً وأدماني البكاء.
هل ألمس قطعة من الليل
جاءت هاربة من رواية قصيرة عن الحب
كتبت لصوتين وعندما ينزع عنهما القناع
تتيبَّس أعضائي
إنني جائعة وبودي ألَّا أُكسَرَ بالتمنِّي.

لديَّ عمل وجمهور في انتظار قصة
لا تمُت لمآسيه
هل أصارحه
بذلك الصوت المستعار في الليل؟
إنني مجرد مستخدمة لآذانه
حتى تتجسَّد أحلامي كما حدث منذ سطور
في صالة بيتي
لألقاه كجمعٍ غفير وتقع عيناي في الحب.

لست طفلة صغيرة
كما تحب أن تناديني أمي
أمي التي لا تزال شابة عجوزًا
ويحبها أبي بجنون غريب الأطوار
كبرت المحبة بينهما وكبرت معها.

لم أكن خجولًا في مراهقتي
اعتادت صديقات أمي في ليالي الخميس
العامرة بالمخدر
أن يفضفضن حولي عن السحر الذي
يلف عاشقين
عن ذلك المجون
عن سكيرة مُلِئَ رأسها بالتهيؤات لمجرد أنها
مست ذراع رفيق عذَّبت به نفسها في صمتٍ

وحين صارحها وصارحته وكان بينهما غرام
ولقاء للتلامس
ظلا غارقين في شيء بعيد عن الجنس
شيء قد يكون شاذًا في أوساط غير التجار
وأضاع عليهما نعيم تجربة أولى.
كانا يلكمان بعضهما كمقدمة لتعارف
عنيفٍ بين وحش وطائر
ولا أعرف لمَ لا أذكر سوى هذه العظة
ربما لكوني ضاجعت معانيَ لرجال صيِّع
ووقورين ولديهم حس عذب
لكمتهم ولكموني في غرف عديدة
خرجتُ منها برفقة ذلك المجون
وذلك السُكْر.

بودِّي أن آكل خريطة الكون
وأذهب وهي ملقاة في أحشائي
وأقص على سهارَى الليل
تلخيصًا لرواية اليوم
النابضة بصوت عاشقة
كانت منذ دقائق بين يديّ مؤلفها
يرش قطعة من جسمها بكأسٍ من التكيلا
ويسمِّيها النبع.

أنا الشريرة التي تباع لها الروايات القصيرة
مقابل حفنةٍ من الأمل أكلتْ وجهي
ولاحظها المستمعون بين أغنية وأخرى
تقفز من صوتي الذكوريّ
المخلوط بصوت لمخنث.

ولدتُ في مدينة البحر
ولف عينيَّ كتمساحة بدينة خيْطٌ من الحزن
ربما لكوني بلا إخوة يشاركونني اللعب والعزْف
بـ'آلةٍ موسيقيةٍ لا تناسب حجمي'(*)
كنت مدلَّلة وطيبة وجميلة
وبودِّي أن أنشئ أثرًا جليلًا وحياة صاخبة
لشخصية عادية مثلي
نوديت باسم يعدُها مثل الأفلام بجائزة
ولقب غليظ منحني إياه راديو العاصمة
مثل أوفيد عاملة "البورنو" والفلسفة(**)
كنت طموحًا أكثر من اللازم
أدرس الفيزياء
وأدوِّن كيف سأكون مذيعة ناجحة

(*) إيمان مرسال.
(**) ovidie فيلسوفة فرنسية معاصرة.

في الليل الذي أكون فيه على الهواء
مجرد طاهية للسمك.

"تحدثت المراهقات عن قلوب الرجال التي
تؤكل بلا شبكة للصيد".

أنا زهرة البحر
التي لم تحب مياهه، وظلت كتمساحة بدينة
يقل وزنها في مكان يجفف قلبها
من انعدام الأمواج.
أنا فتاة الشتاء
انتظرت ياما انتظرت
SMS من مجهول يدخلني التجربة
ودخلت التجربة

وعشت بين جمع من معانٍ لرجال
ولمْ أقع في الحب إلَّا مع المرض
الذي فرَّ من سيارة الإسعاف
ورأيته كالبطل الخرافي
مجسدًا في صالة بيتي
منذ سطور.

"هاي أيتها الرفيقات الكونيات"
إنني أشيخ
وبودِّي أن يدمر الزمن في غرفتي
ويسير ورائي كالكلب الذليل
بودِّي بعد إخضاعه
أن أخرج منه صوتًا لم يعرفه فمي
لأهمس لرجلي الجديد

من أنت يا حبيبي اللبو
لتقول لي ما تقول.

عشت بين مدينة البحر
ومدينة الإسفلت متنقِّلة
من شقةٍ لأخرى
كان لصوت تشغيل الثلاجة في داخلها
جميعًا إيقاع حزين
ولم تنجُ ولا واحدة منها من ذلك
الوهن الذي تفرضه الثلاجة في أرجاء المكان
غادرت شقة في "شارع 10" بمدينة الإسفلت
لكون الإيقاع بدأ يضرب في الخرسانة
ويفتِّتها إلى رمال وتنهال فيما بعد
بالسقوط فوق الرووس كالصخر.

جاءني الزهايمر وضربني كالسرطان
وصار أخًا يرافقني
منذ انفصلت عن المدن وصرتُ عاشقةً للصحاري
كنت ابنةً للخيام
أجلس أيامًا ولياليَ طوالًا
أدخن السجائر الفرْط
وأتأمل اللـه متجليًّا فوق تلة بعيدة
لم أكن يومًا مُلحدة
اعتدت أن أكون مؤمنة على طريقتي
تحديدًا في تلك الأيام الحالكة التي
صرت فيها مفلسة وبلا عمل وجمهور.

أقرأ SMS عن الغياب الطويل
وأندهش من هذه الحال التي
بين كلمات أبي وأمي

وحبيبي الذي فَـرَّ من سيارة الإسعاف
وتجسَّد لي في صالة بيت قديم
لمَ يؤلموني هكذا
كأنني لم أتمنَّ أن يُخلط ثلاثتهم بدمي
ويأكلوا معًا وردة قلبي
ولكن الأقدار لاحقتني بالزهايمر
ولعبتْ معي بسوءٍ حتى صرت وحيدةً
بين الخيام
ولا يؤنسني سوى خيال اللـه
من بكاءٍ لآخر
هل أنا شبيهة بماجنةٍ قديمة
لم تكمل روايةً قصيرة
عن الحب من طرف واحد.

أنا تاجرة القطط
بين الخيام
ألوِّث حياتي برفقة وهْم
ينظر لوهم
أعيد تأليفهما في الحقيقة في داخلي
بالعدسة اللاقطة
لمعانٍ خارج الخيام.
لم يعد هناك جدوى من أي كلام
مجرد إشارات لخاطرة
بين ظلالٍ لأحمر الشفاه
ومرآة صغيرة بين يدي
لا تزال الشمس بعيدة عني.

بودِّي أن تغطيني هذه الجاموسة
عديمة اللسان بأشعتها الحارقة

وتلحسني في بهيم الليل
إنني أخاف الموت من دونها
أليس بيننا من وداع؟
أنا المريضة التي أحبّت المرض
كبطل خرافي
ورافقها الزهايمر كالسرطان.

استيقظتُ صباح اليوم
بين بحرٍ من الصداع ورمال في سريري
تحت سقف مغطّى بالساتان
فردتُ أصابع قدمي اليسرى ليلمس ويطال
فهو ناعم
ولديه إبر توخز كهرباء روحي
تعال يا رفيق صباحي

أنا خشنة

وأرغب في تلامس من مصدر ناعم مثلك

لأنهض واقفة إلى حمام دافئ.

وصيَّة طائر

أكتب إليكم من غرفة الموت المجاورة للسحب، إنه في تمام الساعة الخامسة بعد الظهر، صرت أنا وغرفتي العالية زهرتَيْ بنفسج ذابلتين، ولم يمد لنا أحد يد العون. جاء الموت هذا الجبان الأبله، واهبًا لي جناحين فهززت رأسي دليلًا على الموافقة، أعددت كوبًا من الشاي وهاتفت أصدقائي، ثم ماذا بعد؟ طرت وحيدة من دون سرب، وقلت بصوت مسموعٍ وصاخبٍ: وداعًا أيتها المدينة المملّة إنني أتأهَّب لتلقينك درسًا، أنا ابنة رجل شيوعي أوصاني بالحب كحق مقدس يجيء ويذهب،

أنا "هند كلفت" بالأمس حلمت بكم تقبلون باطن كفي وكنت سعيدة.

يا صاحبي إني حزينة

تبدو أيامي من دونك غائمة ليست كتلك الليالي التي كنا نعيد في أماسيها تفكيك المعلقات لفظةً لفظةً ونُدخلها سجنًا انفراديًا بزمِّ الشفاه لكي تتفكك وتنام برفقة أحلام فترة المراهقة بعد أن قتل السادات واعتلى مبارك العرش.

ظهر لنا كل شيء أراد أن يرافقنا فوق عجلات كرسيّك المتحرك من خرم إبرة أطلت منه أغانٍ ومسلسلات

وكتب وعاشــقات مهووسات، وأصدقاء كنت تشبههم باللفت المخلِّل، لكونهــم أحبوا الوطن ولم يحبوا مثلنا لسان العرب وأوزان الخليل بن أحمد الفراهيدي.

هل تذكر يا صاحبي تلك الليلة التي كنت عائدًا من بيت معشوقة سرية ألهمني اللـه وحماستك لعينيها الطيبتين أن أحبها بجنون ذهب بعقلي، عندما خرجنا إلى دكة في شارع البحر وجلسنا نكتب وصية لعزرائيل أن يأتي في الوقت المناسب، بعد أن تنفد تلك الكلمات التي نودُّ لها أن تصير قصائد قصيرة تخط باليد ثم نلقيها مقطَّعة في المياه التي ترشُّها عربات عمّال النظافة صباحًا.

ها أنت بلا مدينتك التي تمادت في 'كراس خرايط'(*) خلطت فيه بين شللٍ قد أصيبت به قدماك في سن

(*) محمد فرج.

مبكرة وبين موتٍ لم يأتِ متمهلًا خطفك فجأة من غرفة البيت إلى المقابر دون استئذان أحد، وتفاوض تنتظره حتى ينال النوبيون نصيبًا من أغنية كتبتها على نفس وزن "الطول واللون والحرية"، وعايرتك لكونك لا تقلد أغاني أخرى رقصّت تلك الساحرة الشريرة التي أدمت قلبك القعيد.

صرنـــا بعيدين بما يكفي كلٌّ منا فـــي دائرة مغلقة لن تسمح له برؤية الآخر وعناقه ليشبِع تلك الوحشة التي كانـــت تصيبنا في الغياب الطويل، مـــا الذي تريد أن يُحْكَـــى لأطمئنك إنني حيَّـــة أرزق ولا تزال القصائد تضيع مني، ولكـــن توقفَ عن زيارتـــي ملاك كنت تراه بأمِّ عينيك يجلس تحت أقدامي ويســـليني وأسليه. صارت الحياة ضجرة يا صاحبي وصار الملاك طيفًا أشم رائحته الفواحة كشجرة ثلجية تشبه الحب الصحيح ولم يعد يتجسَّد في الصحو أو المنام؟

كل الأخبـــار كما هي، كأنها فلتت من يديك بالنســـيان وعادت إليهمـــا بالتذكر، فلا نقصت شـــيئًا ولا مدت بأوردة كعروق الأغصـــان تجعل النظر إلى صورها يجلـــب ما هو أثقل من عطســـة، صـــرت يا صاحبي كلما أصابني الحزن أعطس ليهتز كرشـــي الصغير، ففي قلب مدينتنا اختفت الكلمـــات وصار لليدين مقام كاللسان، واحتلت الخيوط بابًا للشفاه الملضومة بالإبر فـــوق بعضها بعضًا، صرنا رمزيِّيـــن وأفَّاقين وكأننا نعد لبداية مزوَّرة كالجبال التي مُلِئَ بها رأسينا ليغور الأشرار إلى الجحيم وننجو بقراءة مقتطفات من نيتشة في أفول الأصنام.

منذ سنوات غاب عني فيها هزارك على إيقاع موسيقى لرقصة شرقية أذلت الورع الذي أحاطك كرجل خلوق، لم أحدثك عنِّي كامرأة عربيدة بماذا تحب أن أصف لك عاملة بهيمة، ألم تصفني هكذا عندما أحب كنت أصف الكلمـــات في مصنع الكتب ببطء لا يتماشـــىَ مع ذلك

السمســـار الذي هيّأها لتدوسها حوافر أيادٍ ملَّت منا أن نكون طيورًا جريحة لا تسلبها النقود، هل تحب أن تسمع مني كلمات كم كانـــت مبتذلة في آذاننا مثل المضحي البطـــل المغوار وقلب من الذهـــب؟ أن نذيل بها مهنًا عديدة سمح لأصحابها أن يشمروا سواعدهم ويمدوها في أخرامٍ كم تمنينا ألا يلمسها سوى عشيقاتنا السريات لننكســـرً عندما يُفَاجِئْنَنا بزيارة ليلية متنكِّرات في زيِّ مراهقات جلبن الخلاعة حتى لشاعرٍ عمودي يواظب على الصلوات الخمس وإعراب الذكر الحكيم.

هـــل تود أن يقال لك ماذا تفعل الآن صديقتك الغجرية التي أدمت قلبك الضعيف في ســـنوات مراهقتنا؟ وفي قلب مدينتنا التي ســـئمت من وصفها بالمنيوكة لكونها صار لها مريدون ينعتون قلبها بالكريستال، وبودِّي ألَّا يؤكل رأسينا بالمسميات وسواء كانت هذا أم ذاك فأنت كنت أحمق مع النســـاء وتظن فيهـــن حصادًا لم تجده فـــي حجرك يا صاحبي، ليـــس لغجريَّتك قلب مركب فهي بســـيطة مثلك وأحبت رجلًا آخر ليس أجمل منك

ولا مخلصًا مثلك، ولكنه يحبها مثلك ويلمس وردة من الدانتيلا مُحاطَة بمكامن ضعفها كما كنت تفعل في سينما عدن على مقربة من حامل الكشاف الذي ترشوه بالنظرات التي تجعل محدِّثك يظن لوهلة أن المسيح هبط وجاء ليحضر ثلاثة أفلام في حفلة نهارية مع طالبة ومكيالين من الفتنة "طلَّعتْ ميتين أمك حيًّا وميتًا".

لا تدار الأشياء هنا إلَّا بذلك المفتاح الصدئ الذي لمَّعه البعض، وليس الجميع لتركض الحياة بعيدًا عن الآخرين، وتظل أحلامهم بأن تشبِّك الرؤوس بالورود وبتلات الفل البيضاء محض خيال لا يطال إلَّا بين أربعة جدران وفتاة ليل تقف فوق موكيت صُنْع بلاد فارس، وكأنها في ملهى تعرٍ لتكشف لكلينا مفاتنها لنجرِّب كيف يمكن لرجل وامرأة أن يتبادلا نفس المرأة في حفل تشبَّك فيه الرؤوس بالورود وبتلات الفل البيضاء.

لا أود أن أعبئ روحك الميتة بحزنٍ خفيف كاسمك الشفاف المنطوق بضم الشفتين للأمام لتمرير نون يليها واو وراء، أنطقها عادة غينًا لتهتز لحيتك المثالية من الضحكات الصافية التي تشبه ما يتلقاه شعراء عموديون من قصائد عن نساء خلدن بين سطورها. "لـو أن بيـت اللـه كلّـم عاشقًـا من قبـل هـذا كـاد أن يتكلمـا" مثلما فعل عمر بن أبي ربيعة الذي كنت مُفْرِطًا في مدحه في أماسٍ بعيدة كنت تشرشح لي فيها كالشراميط لكوني أحببت بروحي التي لفتاة شاعرًا عرصًا اسمه المتنبي مسح بلاط ملوك مدحهم وذويهم بإفراط حتى قتل بهجائية تنكر لها الأزهريون.. "ولم ينكها ولكنْ... عجِانُها ناكَ زُبَّهْ".

تفرقت بنا الســبل يا صاحبي ولم يعد هناك أزهريون أدعياء، يرصون القصائد ليلًا ليفوزوا علينا في سوق عكاظ لموتى غاروا من ملهماتنا الغندورات، هل تذكر قصيدة خديجة التي كتبتها ووعدناك أنا وطيبة العينين

أن تكون لك بنت بنفس الاسم الذي هو أصلًا اسم لتلك الســـاحرة الشـــريرة النوبيَّة التي أحبتك مثل اللـه مثل الرسول.

لا يـــزال الريف يذهب إلى المدينـــة ولا تزال المدينة تذهب إلى الريف، مما عقد سير حياة قصيرة كنا نظنها ظلًا لشجرة تين، لم نغزها كالفاتحين معًا، بل انتظرنا الحقوقي الأعرج "جاد اللـــه" الذي ملأ الويك إندات صخبًا، كان مســـليًّا له كطرف ثالـــث بيننا وبين تلك الغندورتين اللتين لم يستطع أي منا أن يلم روحه بروح شـــقيقة، آلمه ألَّا تمرح معه عاريةً تحت سقف واحد، هل تذكر اقتراح خديجة بأن نبني عشـــة مشتركة من الإسمنت لنتزاوج وننجب أطفالًا كالبلهاء، واعترضت أنت لكوني امرأة غيورًا، وســـأقتلك بسكين المطبخ لو طلـــت عيناك مصادفة على هـــذا النمش الذي جن به الجميع تحت أذني شـــقيقتي التـــي خذلتني وكفَّت عن كراهية الذكور بكلِّ وضوح.

سأمنحك عرضًا مغريًا يشــبه الوجبات التي تبادلناها وطبخت بيدي معشوقتين في بيوت مقيمة لأهل وعمَّات وخالات لهما ترعى غريبين جاءا من قريتهما ليصيرا شــاعرين خائبين كأنهما لجســد واحــد نصفه لأنثى ونصفه لرجل في الحب وفــي الموت. لِمَ لا تأتِ إلى هنا أسبوعًا لتعيش كبديل لأختك "شرفنطح" الشبيهة برجال اللـه وتجرِّب المشي والنحافة وأصل أنا نصف بدينــة زادها المرض غوْصًا في تــراب موحش في المقابر التــي بدت ملتقى لأراضٍ أغرقتها مياه الري.

طِباق ناقص

خرج هشام من بيته
كرجلٍ افتراضي في مدينة افتراضية
لديه هوَس بالمصادفات
كأنه يبحث عن صيدٍ سهل بين العساكر
ووردةٍ حمراء بين كفَّيه.

في نفس الوقت
خرجت بهيَّة من بيتها

كامرأة افتراضية في مدينة افتراضية
لديها هوَس بالموت
كأنها مصابةٌ بسرطان الثدي
ووردة حمراء بين كفيها.

ما الذي يقوله الهواء في مصافحة بينهما
كمريضين صلبين في عالم رخو
هل يقول لهشام لمَ لا تجلس إلى شاعرةٍ معاصرةٍ
وتخاطبها كأخت أنك تحلم بالعيش في العشرينيات
وترسم لها منظرًا عن شوارع بلا عساكر
وبين كفيك تلك الوردة الحمراء؟
أم يقول الهواء
للطرف الآخر بهية هوِّني عليه الأمر
وامسحي عن عدستيّ نظارته برقِّة الأخوات الطيبات

ضبابَ ماض بعيد أكل روحه وظل صداه في هوَّة سحيقة بين أُذنيه.

ربما لم يقرأ له أبواه كتابًا عن عساكر إنجليز في العشرينيات

كانوا يصلحون أيضًا كصيدٍ سهل

ولن يعوِّضوه... يا للخسارة

عن تلك الوردة الحمراء بين كفيه

ليس من أجل معانٍ سياسية كبيرة

سوى أنها رائحة اكتمال لحلم ناقص.

قصيدة لن تقال يومًا ما في أمسية

أنا امرأة وحيدة
لم أحظ بهذه العاطفة من قبل
أمام دكانة الضعف
التي تخص في هذه الأيام رجلًا أحمق
يُدْعى ألف ويكتب أشعارًا رديئة
لم يقل عنِّي فيها ولو سطرًا
أنا الأخت الحنون
التي كم ذكرها بالخير سرًا وعلنًا

وانسحب من أمامها بهدوء
وتمنَّاها سعيدة هانئة حتى بشرورها الصغيرة
التي كم أدمت ثقته في نفسه.

لا أعرف لمَ أظل ساهمةً بلا شفتين
أودَّهما بين فخذيّ
وقد دفس هذا الخَصِيُّ
تلك القلقاسة التي لرأسي كالجائع
إلى عنف في سرير
لكوني في مخيلته المريضة بالأوهام
مجرد محظية سُمِّيَتْ مارلين
ودَعته لحبالها ووقع في حبها
بجنون أدُوخ من امتلائي به
كأنه عبدي وأنا سيدة مُجوُنه
وأمرْته بأن يلحسني واقفة

ثم يأكلني وحدي كالوليمة
كالكلبة الحقيرة التي تكره اللحس المستمر بين فخذيها
وبودِّي أن يحشر عضوه الصغير بين بظري الناقص
وشفرتَيْ وردتي التي عادة ما أتخيلها غرفته التي بودِّه
الارتماء فوق مخداتها، كأنني أجرِّب دخول الحدائق
كمراهقة مرتبكة تلسعها الوحدة
ويصير هو صيادًا لطيفًا بودِّي ألَّا أفلت
من بين يديه دون تسديدة لسوتيان معطر
بحلَمتين غليظتين
لم ينل منهما الترهل حظًا كبيرًا
ولا أظن أن سر ولعي بهذا الأحمق
مرتبط فقط بأمر لا يعنيني على الإطلاق
ولم أصادفه يومًا ما
في خصياني
ولا يخرج عن كونه مجرد رجل يسعى

لأن ينجو طاهرًا من عالم مليء بالقذارة
وفي المقابل هو غبي وأعمى
كيف لا يخطر بباله أنني أوشكت على الموت في الخفاء
فليس من سمْت النساء الإعلان عن صاحب السهام
الذي يضرب بين الضلوع
كلما سمعت الحرف الأول الألف
من اسم لحبيبٍ مارقٍ
ليس لديه سحر طاغٍ من الذكورة
ويحب الفلسفة بنفس الطريقة
التي يحب بها عمل صينية البطاطس.

هو رجل أحمق وفقط
وأنا اللا شيء في غيابه
ولم يعد لي صديق في هذا البلد
ولا في كل البلاد.

فريدا كالو

عُدت من صياعة منتصف الليل بلا غنيمة
سوى تلك العاطفة التي تربطني بالنوم واليقظة
أن أصير يومًا ما رسَّامة
ويكون لي جاليري صغير
أصطاد به شبانًا وشابات يكلمونني بعنف عن الحب
وأحدثهم في المقابل بودٍّ عن الكراهية
كأنني ببغاء عجوز أمتلك العالم
لكوني رأيت الليلة طيفًا لرجلي

وقد تجسد في زاوية من مطعم
وسط رفاق النضال
ولا يكف عن اللَّت والعجن
في تلك الفكرة المجنونة
الاستيلاء على مقاليد الحكم.

لا أعرف لِمَ أبدو واقفة في الطرقة
بين ترابيزته اللعينة وغرفةٍ لحمَّام عمومي
وكأنهما معًا صارا قصرًا لضحكاتي الصادقة
الذي مُلِئ به فمي
لكوني أفكر بأن أهبه
أنا ذات العينين اللتين ترسلان
للمساء نظرات تجعله بمثابة أخي الحنون
الذي بودِّي من كل قلبي

أن يمسح بكرامتي الأرض
لعله يكف عن هذا الهراء
وينتبه بأنني عاصمة المكان
من قديم الزمان
وبإمكانه الامتلاء بي
ومناداتي ببساطة تذهب بعقلي
من النشوة بينما ينطق اسمي
"فغيـــدا"
فتنقلب الراء الطيبة بين شفتيه
إلى الغين اللعوب
فأصاب بتلك النشوة
التي تحمل بها قدماي
هذا الاتساع للتردد
بداخلي.

مكاني غارق
من حولي في الحزن
وأنا أصرعه
بضحكاتي الصادقة
كسيدة نال صفاتي
ولقِّب باسمها
كأنني أمه الافتراضية
التي كانت حُبلَى لتجسيده بين ألوان فرشاتي
وهو يهذي بكلامٍ تلوكه ألسنة الجميع
وصار للسانه معجم مغلق
قـــــــزم
ليس لكلمة من بين مفرداته
صدى لصوتٍ حقيقي
كأن أرسمني في زي أحمر
لامرأتين إحداهما شابة

والأخرى عجوز في سرير واحد
وأدعوه عن طيب خاطر
بأن يجعلني كالإسفنجة المبلولة
لأرتخي قليلا بداخل علبة الليل
وأنسى كم هو سياسي تافه
وأكف عن التخلص من شهوة إصلاحه
بين لوحة وأخرى.

الأورجازم، الصداع

أنا وصديقتي
من فترة لأخرى نلتقي
لنأكل وجبة أرز ساخنة وندخن سيجارة
في نفس المكان الذي تصادفنا فيه نساء تعيسات
بودهن تبادل العنف
والاعتراف فقط بتلك اللكمات التي
طالت جزءًا من الذاكرة
وحوَّلته إلى كراهية الذات.

أنا وصديقتي
في رحلة العودة ليلًا
نصوغ العبارات الرنانة
بين كوبري عباس
وبناية الأوبرا
عن ذلك الشيء المسمَّى النسيان.

أمٌّ

لمحت السيدة في ممر "آفتر إيت"
تبدو عليها وخزات
لا تُرى سوى في العينين
تلك الوخزات الأليمة التي تخبط
في رأسي كأن مَسًّا أصابني
بينما أُعَنِّف روحًا تخصني
في هيئة كلبةٍ وديعةٍ
وعلى الفوْر ناديتها

: ماذا بك يا أمّاه؟

: لا شيء ولا أعرف لمَ تدمع عيناي.

: هل أنت ضائعة هنا؟

: لا أنا مفقودة وفقط.

IV

نبيَّة الليل

الصوتُ المستعار

في هذه الليالي البعيدة
التي اعتادت أذناي فيها
على التقاط ضجيج لسارينة عربة الإسعاف
امتلأ به جسمي كاملًا
بينما الصوت المستعار في داخلي
يعمل في نشاط وهمة هائلين
لإنقاذ جمع من الغربان.

كم مرة كانوا إخوة لحراسة كنوزي الحسيَّة
عندما يخاصمني النوم ويطير من عينيّ
لا أذكر في أية فترة من حياة مضت
ربَّيت حاسة لإغفاءة
كانت بمثابة الإشارة لانطلاقهم في أنحائي
بينما يهبطون برأسي لأسفل
في الأماكن المفتوحة
كأنهم بأرجلهم يهيئونني للدفن
في تراب لحديقة عامة
وبعد ثوانٍ أنهض واقفة من فوق كرسي لمقهى
أو رصيف لميدانٍ صغير
من السكون للحركة
ومن الحركة لصياعة منتصف الليل
وتنز من بين ضلوعي مياه مالحة

مُحاطةً بالريش الذي كفّ عن الطيران
وفي تلك اللحظة أصعد مسرعةً
إلى أية بناية عالية قريبة لقدميّ
ناظرةً بأسى إلى تلك النفاية الملفوظة
من مياه وريش عليلين.
النفاية الملفوظة
التي كم تمنيت أن تكون ودودًا
مع نغمة لروح هاربة من القذارة
وتكفّ عن ملاحقتي
فليس بودِّي أن يكون لي ذيل لدجاجة
على وشك السقوط في بحيرة من الحيرة
بين الحلم واليقظة
وتصاب كنوزي الحسيّة بالنقصان.

لم أُحبَط هكذا
أنا الإنسانة البسيطة
إذ تتوقف تهيؤات إغماض العينين
والارتخاء في بروفة لفقْد مؤقت
عن التقدم في نسج الحكايا العذبة
ذات النهايات السعيدة
وتأكلني المودة التي نشأت فجأة
بيني وبين العالم
وأصاب بداء الاكتمال
حتى تلتفت عيناي لرائحة صوت
يتسلل في بطء
ويتجسد ببطء
ويُملأ المكان بالنوافذ العالية
وأظل مترجمة لجمهوري من الأصدقاء الافتراضيين

أيّ عطل لحلم على طريقة مدرِّسي الحساب
بالزيادة والنقصان.
ما الذي يعيب روحًا مستلسمة
هشَّة تريد لمعانيها الاحتشاد في نقطة
تُرَى بالعين المجردة.

سئمت عيناي النظر من وراء عدسة الخيال
لستُ من حاملي الرايات
الذين يلوون جذوع أجسادهم
للتشكِّي من ألم
وتنبيه رسولة السعادة
بأنها حقيرة أكثر مما تظن.
مهما تعددت الأسباب
التي تجعلني ممسوسة بهذا الكم
الهائل من الغياب

بودِّي أن أراني مرة أخرى
بين أرجل صغيرة ساكنة فوق جثماني
لجمْع عطوف من الغربان.

أغانٍ تهكميَّة لإلهة الشيكولاتة

- I -

في المســاء القريب ذلك المســاء الذي لــم يكن لديّ بداخل علبــة الليل خطة للقاء كلبي الحبيب، أكون بلا ألم في معدتي لكون تأمُّلاتي لمحبة مســتقبلية بيننا في طريقها للزوال، مثــل كل انتظار لا يفضي إلى أمل، هناك حمقى في هذا العالم لا يعرفون شــيئًا عن معنى أن تصر امــرأة على منْح صيدهــا الوديع قطعة من الشــيكولاتة، وأن تترجَّل وحيدة تحت أعمدة الكهرباء

وهو جالس وسط زحام يلتُّ ويعجن في ألفاظه الخشنة كأنها مسودة لنقصان ومشروع لخيانة، ولم تمس شفتاه الذكوريتان بتلك الكلمات الطافحة بالأنوثة التي أسرت بها أمام دكانة الشـــيكولاتة للبائع: أليست لديكم قطعة توحي للناظر إليهـــا بأنني مغرمة به، "بليز"... إنني في رحلة العودة إلى نفس النقطة لأجلس بجانبه مشوَّشة وحيرانة وأكاد أختنق من حبي لمســـنٍّ أبله يمتلك بدن 'كلبي الحبيب'(*)، ورأسًـــا شبيهًا بصندوق القمامة ولا يعرف شيئًا عن الحب بقطعة من الشيكولاتة.

- II -

كان يا ما كان أن ذهبت إلى مطعم للفلافل كنت غارقة في بحر من النوم، واستيقظت جائعة للقضم والعالم حولي ساكت باستثناء محل للطباعة الفورية للأوراق وفرشة صغيرة لفاكهة الشتاء، وإذا بزوجين

(*) أسامة الدناصوري.

من القطط بجوار رصيف دكانة الطعام يتمسحان في بنطالي الجينز، ويقولان لي بأعينهم الأربع شيئًا عن الجوع لم أعرف له نغمة حزينة من قبل هذه المصادفة للقاء روحين عاجزتين عن الكلام سوى بلغة المواء التي تعد دراما مبتذلة كأنهما يبلِّغاني عن طريق سهلة للنجاة من صوت الكمان.

- III -

من هو هَزِيع(*) الليل سمعت سائقًا لتاكسي أبيض يتساءل وأنا بجانبه للذهاب إلى قلب مدينتنا المملّة، وظلت شفتاي مضمومتين ولم تصدر من رأسي هزة لطمأنته على إجابة، ثم واصلت الحركة وقبل جلوسي في مقهى "كافيين" رأيت عراقيًا مهاجرًا ويدعى ناطق، وألقى بنفس النغمة التي لسائق التاكسي الأبيض من

(*) الهَزِيعُ من الليّل: نحو الثُّلث أو الرُّبع الأوَّل منه، الهَزِيعُ: الأحمق.

هــو هزيع الليل فصرَعتنـــي الضحكات الخارجة من النشـــوة التي كم طاردتني عندما لا يكون لديّ ســـوى الدهشة من أسئلة لمجانين على وشك تأليف أغنية عن قرية صغيرة تشبه مدينة للأفيال.

- IV -

بدا المسن كأنه تشبيه ناقص في شارع شريف، تشبيه ناقص عـــن الجنون في زيٍّ نظيـــف وعكاز وغطاء للرأس يحمي صلعته من طراوة شـــمس الصباح، كاد صياحه مـــن أمام البنك الأهلي، بنـــك أهل مصر أن يطرش أذنيّ اللتين بدأتا في سن متأخرة إظهار محبة جارفة للهمس.

: أنا الرئيس أيها اللـه، أنا الرئيس أيها الشرطي، أنا الرئيس، أيها المحامي الذي اسمه أيمن نور، ويشير لبناية جميلة ولافتة تحمل اسمًا للـخراء.

ها أنا ذا أدخل شـــارعي الحبيب الذي يملؤني بالكآبة والفرح في آنٍ واحدٍ، وثمة طيف يصادفني فيه تجسيد لتمشــية مع روح لصديق عزيــز غائب وتصرعني الضحكات كأنها تشبيه ناقص يا عم تولستوي.

- V -

ثمة روح لرجل الشيكولاتة
تصطاد تلك النغمة التي لامرأة ضاحكة
وليس هناك من أمل أن تكون مخزنًا للبؤس
الذي تقذفه كلمات شاعرة كلاسيكية
ماتت في حادثٍ غامضٍ ببلاد فارس.

انطباع عن غرفة المهاجر

أوْشــك الصوت على الانتهاء في اســتدعائه صافيًا صلبًا، على اعتبار أنك أنهيته في دورتين متتاليتين من ضرب الحشيش المغشوش الذي ملأ الغرفة.. استرخِ وواصلْ، اقتل الصوت من الداخل، دعك من الخارج دعك من الغرغرينا التي جاءت إلى قدميك مصادفة، لستَ ســوى روح ضئيلة صادفت روحًا حزينة لجبلٍ مــن الأنوثة رمت عليكَ خلاصك في نظرتين واثقتين من وعد الجدات الصالحات تعالَ أضمُّك يا صغيري،

اتبعني لا تخــف لن يأكلك أحد. امــشِ معي، خلفي، ورائــي، تحت عنقي بين إليتــيّ، تحت ركبتي، فوق بطني امش كما تشــاء لو أحببتني دون حدود أو معنى تعرفه.

اعرفْ معناك معي، اقفز يا صغيري إلى قلبي قبل أن أحرِّك عينيّ الضيقتين دونك، لا تجبرني على شــيء ضــدك، أنت صباي تعالَ إليَّ لأضمك مكســورًا بين كفيّ وأفكِّك ثم أنثرك في الهواء.. الهواء الهواء.

أوشك الصوت على الانتهاء، أنهض من فوق المراتب لأقرأ لك قصائد مترجمة عن قافية القطن: كان ياما كان جموع في الحقول حافية بين مارسيليا الريف ومارسيليا المدينة، وظهرت فجأة امرأة قوية كالتي يمجِّدها الصيِّع لكونها تلمسهم فينكسرون في الحقول، وتلبَّست جسدي كأنني تائهة ولا أعرف لماذا يدمع

جسدي كلما اشتقت لاحتضانها، يدمع كهؤلاء الحفاة الذين ضربتهم الحياة في الصميم لتصديقهم أن الخيال مات في صعود ونزول وانتظار لا يفضي إلى غرفهم.

أوشـــك الصوت على الانتهاء في شـــجار بين الفراغ وبينـــي، وبين اللـه وكلابه كتبة الأشـــعار، ظانين أن شـــطرة تُوقف العالم، وشطرة أخرى تقلبه رأسًا على عقب، لا تخف من شـــيء اهدأ، وكـــن قويًّا اقفز من الخارج إلى الداخل، اسمعْ الصوت ولا تخف، تشاجرْ مع كلب المقهى ولا تخشاه هو مجرد جثة بإمكانك أن تطحنها لو شئت.

تذكر طحن الجدات الصالحات للدقيق قبل مرحلة النخيل في صورته الخام القمح، لو ضربك هذا المعنى تكون وصلت إلى ملاعبي هانئًا مبتسمًا، قم وواصلْ، فالحياة في كل مكان كئيبة حتى في المقابر، فلا تحزن، العَرَق ضروري لمواصلة الرحلة والوصول إلى إيثاكا.

إسطنبول اسم لفتاة

يبدو كل شـــيء في مكانه للجالس على ســـريره، نعم هذا الحزين الذي تلمع عيناه من ثقِل أحماله بين لفظة وأخرى، كأنـــه نبيٌّ حقيقي له خيـــال مدمر في عماه المقروء.

لماذا لا يمنح نفســـه عينًا ســـليمة بضغطـــة من زرِّ الكيبورد، إنهـــا تحقق المعجزات أحيانًا في ثوانٍ وفي

أحايين أخرى في ســاعات، ولا أنسى في 'روايته'(*) ذلك الطبيب الذي ذهبت إليه إســطنبول في خمســة ســطور... حشرها حشــرًا في فم فتاة خليعة وناداها: أحبك أيا إســطنبول، وفي الليل أندم في سرير لا يضم ليونة نهديك اللذين شــخت دونهما، وخفتت أساطيري وخف دهس أقدامي في بطون إخوتي وهم في ســابع نومة، هه اصحوا يا ولاد المَرة.

في هذه الأحوال النادرة تجسدت لديَّ رغبةُ مشلول الأطراف بالموت، ولا احتمال لمبالغة في رفقة شيوعية من لحم ودم تشرح لي اقتباسًا من أفول الأصنام، وفي ثوانٍ رشقتْ عينيّ بمطاو وسنج وأغانٍ... إلخ 'كعناءِ ليلتِنا التي جُعَلَت لنا.. بالقريتين وليلةٍ بالخندق'(**).

(*) مخطوطة لـ مالك مصطفى.

(**) القطامي التغلبي.

"عيناكِ نقابتا عمّال،
وصدرك بندقية..".

تُقرأ على جدران الجامعة

نبيَّة الليل (1)

غارقة في الحزن بداخلي
ويلزمني بأن أتسلَّى قليلًا
ليس لديَّ عمل شريف
في هذه القطعة من النهار
لكي أقتل بأكاذيبه الوقت
وأعود وحيدة في المساء

أدخِّن النبتة الشريفة وآكل الذين يطاردون روحي
وبودِّهم أن تصير قزمة وتكف عن الأحلام
أنا الإنسانة البسيطة
التي لم ترضَ بنصف حياة
آمل هنا بين هذه السطور
الخضوع لألفاظي
وأن أتمرَّغ عارية كالمجاذيب تحت قدميها اللتين كم حلمت بأن تكونا لي مصدرًا للخفة والانطلاق لمواصلة العيش وإثبات الذات.

كم من رجال ونساء على مشارف المدينة أكلهم الأسى ولم ألحظهم إلَّا بعد الاستيقاظ من نوبة المخدر، حيث دمعت عيناي مرات عديدة لكونهم غاب عنهم بأن الإنسان المعاصر باستطاعته الكلام مع الجدران،

ويكف عن الثرثرة والابتذال بعرْض جناحين منكسرين
لطائر في متحف للنوم بعرض الشارع.

ما الذي أوصلهم إلى هنا؟
ولمَ يفتقرون إلى معانٍ قوية كالانتحار؟

نبيَّة الليل (2)

تأتي القطط فُــرادَى وجماعاتٍ حــول الأرجل التي تعبت بين 'الإقامة والترحال'(*)، تأتي القطط في ثوانٍ وتختفي في ثوانٍ.. في محلات الشاورما في محطات الانتظار في البيوت في المقاهي في بيت الرسام وفي كل مكان.. نائمة ومستلقية، طائرة وزاحفة، مخمورة ودامية.

(*) ياسر عبد اللطيف.

تأتي القطط عادة من أجلي، لتضرب بمخالب أرجلها الأمامية في بلاســتيك روْحي وتحفر تحت جلدي هوّة ســحيقة تذكرني أن لي لســانًا وينبغي أن أضم شفتيّ الغليظتين للصفير.

نبيَّة الليل (3)

روحي لا تهدأ كأن اللـه كتب لهذه الليلة أن تكون خراءً كليالٍ سبقتها. وصلت اليوم يا رفيقي إلى مقابر الصدقة في أطراف قريتنا التي حكيتُ لك عنها في رسائل التليفون المحمول.. صرت حبيسة التراب ولا يزال صوتي حيًّا، وأصحاب وحدتي الصراصير الليلية تحبني متكلِّمة عن ضجيج المترو تحت الأرض، وشكل الشمس لخلخة السكون الذي يعم المكان، ووجب عليَّ كوافدة جديدة أن أطمئنهم بصوتي الجهير بأن

الأمور على ما يرام، وما يرتدونه من خوذْات مطلية باللاكيه الأخضر كافٍ لحماية الرووس من الارتطام في الإسفلت عندما تلقي بهم يد إلهية إلى الخارج..
هنا ضوء كثيف يضرب في عظامي ويأكل الزحام من حولي فجأة كأنك وجه تفكَّك ثم غاب عن مرمى بصري إلى الأبد.

نبيَّة الليل (4)

فكّت امرأتان في غرفة في مدينة صغيرة عقدتهما من الذكور الأجلاف بهذا الحب السماوي الذي بدا لي في قُبلة لن تجدها حتى في أفلام "البورنو" وكتاب الهند، كانتا تتحدثان عن جرائم لينين، وكيف شرد تروتسكي حتى أراقت دمه امرأة ما هي إلّا مجرد رسامة معاقة في منفاه بالمكسيك، ومرمطت سمعته الثورية في أوحال.. الصرامة في حديث المرأتين مسيطرة بشكل جعل كلتيهما تدخنان وتضربان الماريجوانا كما لم تفعلا من قبل في خلفية أغانٍ ومزيكا من حقبة "البيتلز" الصاخبة.

المرأتان محتشمتان عن جميع الرفيقات الرائحات والغاديات في أركان غرفة بسطوح فندق جيفارية للاحتفال لكسر الملل دون مناسبة، وفجأة عندما بدأتا كمحبتين للفوتوغرافيا التغزل في صورة بالأبيض والأسود لـ"Tina Modotti" عشيقة "فريدا كالو" مجرد رسامة معاقة وهي مستلقية على ظهرها في ساحة بيتها الريفي، وتلمع في نفس الصورة حشائش وردتها الدانتيلا السوداء، وإذا بالرفيقتين تتحسَّسان يديّ بعضهما بعضًا وتغيبان عن الوعي وكأن 'هذا الزحام لا أحد'(*)..

في ذلك الركن الذي صار يذكرني بهما وبسحر قبلتهما الطويلة المفاجئة التي دغدغت ومست روحي كمتفرجة تأمل أن يعصف بها الحب مثلهما من دون مقدمات.

(*) أحمد عبد المعطي حجازي.

نبيَّة الليل (5)

انتحرت عايدة بنت الخامسة والعشرين ربيعًا في نهار ريفي ينز الملل من كل تفاصيله، سمعت أمها غير الرحيمة صرخة من غرفة ماكينة الخياطة التي قضت فيها عايدة نصف عمرها منذ شبَّت، وبدت مسئولة أن تطعم كل هؤلاء البغال بما لهم وعليهم من حماقات غليظة ضدها، تطوِّحها الأم والإخوة الصبيان في وجهها كل مساء عندما يضمها ليل الحرمان برفقة صديقتها "الليسبو" أشواق بعد غياب الوالد للأبد.

خرجت عايدة محروقة من غرفة الكدح والانكفاء لساعات على جلاليب وسراويل وفساتين ومخزن أسرار الفلاحات، خرجت عايدة كأنها كومة من القش أضرمت فيها النار بلترين من الكيروسين، ولم تفلح البطاطين ولا عويل وصرخات كل من جروا حزنًا لإنقاذ روحها الطاهرة العاشقة لأشواق، كأنهما عصفورتان تغدوان في آخر الليل خماصًا بلحن وحيد وواحد "أهل الهوى يا ليل"، وتعودان بطانًا مع طلعة الصباح من شباكٍ صغيرٍ ياما ضمَّهما متعانقتيْن باسمتيْن بروْح الرضا ولا تراه قرية بأكملها سوى ظلمة منحلة للبغاء.

نبيَّة الليل (6)

ثمة عجوز مرت من أمام جمْع شبه نائم شبه مستيقظ، وقد بنت حولها بيتًا فوق كرســـي متحرك، تمتم الجمع يا لها من امرأة صابرة لن نستطيع لرؤيتها صبرًا، ولم تلتفت العجوز للبرجوازيين الأوغاد، كانت تســـير في خط مســـتقيم واضعة يدها اليمني على إحدى عجلتيّ الكرسي، وقدمها اليســـرى تلامس الإسفلت من أجل الوصول إلى تلك النقطة المهيمنة على خيالها في قلب مدينتنا المملّة.

بارزة هي الأكياس البلاستيكية وقد بدت كالستائر التي تنفرط منها حبات القمح لإطعام حشـــد من العصافير المتبادلة بين شـــجرتين كبيرتين هما المسافة الفاصلة بينها وبين العالم الرحب الفســـيح لم تَبْدُ على حركتها أعطال من ذلك النوع الذي ألفه الجالسون في زيّ ستة رجال وست نساء.

نبيَّة الليل (7)

- I -

عزيزي اللـه
لمَ لا تكون حبيبي لليلة واحدة
وينتهي الأمر ويذهب كلٌّ منّا إلى شأنه.

ليس لدي نية للتجديف
من حقي كابنة طيبة لك
لم تؤذِ روحك عن عمْد

أن أقترح صياغة لوجودك في كل زمان ومكان
كأن أراكَ مجرد ساعي بريد
وأحدِّثك بودٍّ عن نفسي
كمومس ليليّة فوق كوبري قصر النيل
مَلَّت من ورود بلدية حمراء
هي رأسمالها
وعادت خاوية اليدين
بلا نقود
لكون المشائين الليليين نظروا ليدين بضَّتين
بلا تفكير في رائحة حول تلك النقطة الواصلة
بينها وبين تمثال لأسد مخيف
بالتلامس الخفيف
في متحف للرزق
لِمَ يُقَالُ لك كل هذا
أنا هذه المومس

وقد فرغ ليلي الكئيب من رؤية لحبيب غائب
وبودِّي أن أضيع في أحضان رجال آخرين
كيف أقتل اشتياقي الحار
لصوته في مقهى صغير
يدعى "أرامل ماركس"
ولست مهتمة على الإطلاق
بهذا الماركس ولا بأرامله.

صدِّقني.. أدماني غياب حبيبي
عن كورنيش يرافق عليه نساء أخريات
ومقهى صغير
يبدو أمامي جالسًا فوق رصيفه
يدخن ويتأمل الفراغ.
تبًّا لي لقد أوشكت على فقدان عقلي
كيف أجرؤ على الاستمرار

في الهوَس بآخرَ ليس لي
ولا ينشغل بألمي
ويتركني ذابلة هكذا
أنا حقيرة حقيرة حقيرة
فلا تبتئس يا إلهي الرحيم
من ثرثرة فارغة
أصدع بها رأسك
من مساء لآخر
حتى أُشفَى من الشقاء.

لِمَ لا أركب تاكسيًّا
وأغازل سائقه بلمسة مفاجأة بين الكتفين
وأفتح خياله بأتون وردتي
هاتِ سيجارة
وخذ نهدين وخاصرة ووجهًا وركبتين

ورقصة للغياب الطويل الطويل.

- II -

يبدو الليل كالدولاب
وماذا عني بداخله؟
هل أنا شماعة معلَّقة في أنحائه
أم قطعة ملابس معطرة بالنفتالين المستورد
أحرِّكها من مكان لآخر
أم حقيبة جلدية لسفر طويل
محمولة فوق باطن سطحه
كأنه جراب للكراكيب.

أتأمل دولابي
وأطمئن نفسي على محتوياته

لا كنوز بين درفتيه المفتوحتين عن آخرهما
مجرد مخزن لأكوام من أيامي
تستقر فوق رفين
العلوي لأشيائي الثمينة
كورقة من صديقة تكتب لي
"أنت شجرتي البسيطة وتوأم روحي"
بجانبها كتاب صغير الحجم عن التناقض
ودفاتر قديمة لكلبةٍ عطوف
في معملِ الحب
بينما رفُّه السفلي بحرٌ هادرٌ
من ملابسي الداخلية
التي حرصتُ بأن ترافقني
من رجل لآخر
كنت بعد كل مضاجعة

أحتفظ بذلك الكيلوت والبرا
قبل التلامس الخفيف
فأنا بين يدي الرجال عارية تمامًا
وأحب أن أرى معاركي في المرايا ناقصة
كأن دولابي جزء من النسيان.

- III -

عدت إلى ملاعبي
أتدرَّب على الفرح والنقصان
في آنٍ واحدٍ.

صخوري تتدحرج أمامي
وثمة ظل لعمر ضيَّعته في بيت البغاء
كنت أرقب صيدي اللافت للنظر الأخَّاذ عن قرب

وأتفلسف حول سوء الطقس
كم مرة قلت إنني بردانة
في بداية فصل الصيف
أظن في أبريل تحديدًا
بينما ينهمر فوقي
احتياجي لفريسة
في سمْت رجل لآكلها بالرسائل
حتى تمل بذاءاتي.
أنا خازنة العشق
ممَّ يشكو هذا الأحمق؟
ألم يذق العسل
من بين كلماتي؟
ألست امرأة
وهو مجرد اختراع؟

- IV -

أتحرك بين شارعين أو أكثر
أمضي بلا توقف
أين العطش الذي يملؤني لعناق
هل ضاع سدى؟

- V -

لست مترددة لأجل رغبة ما
أنا عاطلة
ثمَّة خلل في أنحائي يؤجل انطلاقي
لا شأن لماضٍ أو حاضر أو مستقبل
بما أنا عليه.

أؤكد.. لا شأن لهذه الكلمات الثلاث الدميمات

كنساء "كوستا كافيه" الشمطاوات
في صباح جمعة أكتوبرية رديئة
بالتقهقر للخلف
كأن رائحة دم متجلط عالقة في أرنبة أنفي المثيرة
ولا أحد في هذا العالم منتبهٌ لها إلاَّي.

أنا المومس العطوف الجالسة في ركن وحيدة
أتلوَّى من إحساسي الخفيف
بصدى نداءات لرجلي العزيز
من مكانٍ خفيٍّ.

- VI -

أوف...
هل أسير حافية القدمين

وبملابس رثَّة تفوح منها رائحة نفَّاذة
لكيروسين
أوف أوف.

متى يصبح لازدواجي معانٍ
في قاموس البرجوازيين
أوف أوف أوف.

بودِّي أن أشرب
كوبًا من الماء المثلج
وأدخِّن سجائر رخيصة باستمرار.

ليس معنًى يخصني عن الوحدة

تلك الليالي التي تلي نهار "السيد جراي"
لم تكن أبدًا مشعة بين حوائط زجاجية لمكتب ملياردير
الملل أيضًا أصابه كإله للوفرة الزائدة على الحاجة
كأنه كاهن في حضرة فاتنة سكندرية تدعى "ماريا"
شم "السيد جراي" كالطفل رائحة الفعْل الجميل في
عينيّ أنثاه وظل في نوافذ بنايته العالية يطعم عصافير
الزينة في القفص.

مكوِّرًا قبضة يده اليمنى لخط عنف في حيرته الكاملة

من عظمة الجمال الأخَّاذ في وهن "مارياه" المسكينة التي جاءت للقاء عمل بأجرٍ زهيدٍ ورشقت بين ضلوعه في ثوانٍ سهمًا لو عرفت به لكان عبدًا ولْهانًا تحت سيطرة أنوثتها كما لم يكن لحلم الثراء الفاحش.

مسكين "السـيد جراي"، لا يتمهل في الأخذ والعطاء ولم يسمح لروحه بالدخول بداخل قفص عصافيره التي أدماهــا لكمات دون أن يفتح لها بابًا ولو للخطأ ويرى أجنحتها الملونة يرتفع ريشــها لسـقف الخلاص من الأسْر، ويكون لاستقرارها بلا مقابل في نفس الغرفة موســيقى النعيم الأبدي، ليكون حَسَــن الحظ ويجرب الشــقاء في معــانٍ غير مطابقة لمواصفــات بحيرته الراكدة منذ 7 سنوات عجاف.

V

عارٍ من الصور

تاريخٌ موجزٌ لمكانين في المرآة

جلس فتى وفتاة في مكانين في المرآة بينهما خط واحد بلون أحمر الشفاه صنعته ساحرة عجوز عاشت سنين في هذه المرآة وحيدة لا تريد من العالم شيئًا. وفي المقابل لا يريد منها أحد في هذا العالم شيئًا إلَّا أنها من عنف ما تمر به من خيالات لعاطفة جياشة عاطلة عن العمل، تسلَّت وخلقت هاتين الروحين ونفخت فيهما صلابة وأحلامًا لا تطالان إلَّا إذا استطاعا معها صبرا.

تحركت الساحرة العجوز أمام المرآة لتطمئن على مخلوقيها الفتى والفتاة، وأنهما لا يريان بعضهما بعضًا وأن أحمر الشفاه راسخ وثابت في مكانه كشريط الحدود بين البلدان، ولكنهما يتبادلان الأحلام والحب كلما همّ أحدهما لاحتضان نفسه من الأسى الذي يضربه كالسرطان، لغياب نصف مرآته في مكان محرّم عليه أن يكسر أحمر شفاهه ويتخطاه، وإلَّا سيفقد حلم التمني للأبد.

كانا حائرين وشغوفين ولا يفكران في أي حدث يدور خارج مكانيهما، إلَّا من باب التسلية وإظهار أنهما غير مهتمين حتى بالاكتمال، بينهما ثمة قصة تُنسَج، وعليهما إعادة النظر في رب القصة الذي يتحرك أمامهما ليلًا ونهارًا مهددًا إياهما: ألم أقل لكما إنكما لن تستطيعا معي صبرًا.

بدت الفتاة رقيقة تكتب الأشعار الموزونة وبدا الفتى غليظ القلب، ولا يجيد أي شيء سوى اللعب في أرنبة أنفها المثيرة لخياله كلما كسر قواعد الساحرة العجوز، ولمح الجميلة الفتاة بنصف عين متجاوزًا خط أحمر الشفاه، وفي كل مرة تصاب هي برعشة الأورجازم ويصاب هو بلعنة الغياب والطرد من المرآة.

مرت سنون يبددها كل منهما في مكانه، حتى ملَّا اللعبة وخالقتها، وقررا في اللحظة نفسها أن يثورا ويخرجا من المرآة، وليذهب خط أحمر الشفاه إلى الجحيم، لقد تضخم قلباهما من الأحلام والتمني ولا يريان من هذه الشمطاء غير الرحيم إلَّا الوعود فلن يظلا مصلوبين هكذا في المرآة حتى يموتا ونظراتهما ساهمة في الاتجاه الخاطئ للقاء من لحم ودم.

بدآ في تكسير أقبية وسراديب سجنهما الزجاجي في

توقيت كانت الساحرة العجوز ذهبت فيه إلى رحلة سفلية، وغابت ونسيتْهما في هذا القمقم الذي بدا في أول الحكاية كأنه النعيم الذي يحلم به فتى وفتاة في مثل سنهما الآن، قبل أن يصل بهما العمر إلى قطار الشيخوخة دون ذكريات تجعل منهما مصدرًا للحركة والسكون والحب والأحلام.

مؤنث مؤنث

يبدو كل شـــيء متماســـكًا، وغير متماســـك في القاع على مشـــارف المدينة في عزبة الزبالين على مقربة مـــن جبل المقطـــم، عندما تفتح فمها "أمّ رشـــا" التي تكـــدح في خدمة البيوت لتربي ذكورًا وإناثا في ســـن الرشد، وتقص مآسي كالحجارة الصلبة التي تتدحرج في لحظة تاريخية يعدُ فيهـــا انهيار جبل المقطم على رؤوس الجميع الذين يمرون بالعربات الفارهة متأففين من رائحة الحرائق التي هي في الأســـاس بضاعتهم وقد رُدّت إليهم.

ننحت في الصخر: قالت السـيدة العجوز وهو "سيم" شائع بين عاملات البيوت اللاتي تتحرش بهنّ الهوانم كمـا قالت حنان المحجبة في بـكاء مرير كأنها طائر جريح ضاع شرفه ومرمطته الظروف، وحكت كيف تحمِّم سيدتها وتعرِّيها لتلعب الأخرى فيها كتمثال من الجرانيت لا ناقة له ولا جمل فيما يحب ويكره.

بكت حنان فـي مقهى "آفتر إيـت" وزاغت عيناها، ومضيت إلى سبيلي ثم تلفتُّ حولي فوجدتها تسبح في بحر من الدماء.

صورةٌ أولى

ولدت يهودية وهاجرت إلى مصر وراء رجل يهودي يكتب الروايات المسلسلة عن الإسكندرية التي تفتقدها كأنه تاء التأنيث التي تخصها كصوت أنثوي في زيّ الرجال، واخترعت لاسمه إيقاعًا كـ "راشيل" منادية إيَّاه بالأخ الجليل، أيها الأخ الجليل راشيل اعترفْ أنني مجرد يهودية لا يهودية أحبَّتك مثل إلهٍ مثل نبي ولم أنوِ أن أؤلف كتبًا عن ابن عاهرة وخولٍ ضيَّع عمره في النضال اسمه "ليون تروتسكي".

صورةٌ ثانية

لم أكن سوى امرأة سيئة الحظ أحببت عدة رجال في عمر تمر سنواته القصار كأنها ضرطة في دفتر يومياتي، أتحرك كالمغناطيس لألتقط جسدًا ماجنًا ألعب به ويلعب بي، أنا الخبيرة بالرجال الحمقى وخيالاتهم المريضة ضاجعتُ فقط إخوتي في المجون، وربطتهم جميعًا تحت شجرتي ليعبدوني، كنت في البدء ثلاثة حروف، وهيّأني الله في لحظة تجلٍّ أن أكون كلمة مثل أحه.. وتشبه في صداها "لا الحقة"(*).

(*) قسطنطين كفافيس.

صورةٌ ثالثة

لم أكن يوما ما تابعة لأحد، ولكن النساء تضايقن من إحساسي الأكيد بأنني حشرة مستقلة عن الغابة أضاجع صديقتي "الليسبو" التي تكبرني بسنتين، وأدندن أنشودة بلغة أجنبية تصف بلادي بلادي العظيمة كالمراحيض العمومية في فنادق الأثرياء، أنا عازفة البيانو معي رسائل تخصكن أيتها الحشرات الضائعات بين ضفتين هلموا من أجل معانٍ متبادلة بيننا نكوِّن أوركسترا نسوية للخلاص.

صورةٌ رابعة

حدث ذات مرة أن غرق صديقنا محمود في عرض البحر، ثم استيقظ فجأة من غفوته الطويلة مناديًا على ذلك الجزء الصغير من المدينة الذي مجدناه وأحببنا فيه المرأة ذاتها كأنها أمه في جلباب بيتي وابتسامة رضا.

حدث ذات مرة أن رقد صديقنا محمود في سلام بين ضفتين متقابلتين ثم انتظر كأي مشَّاء عظيم أن تسأله الفتيات الخليعات هل أنت ملاكم؟

حدث ذات مرة لم يكن بعدها بدأ أن أحضر صديقنا محمود مادة صمغية ومقصًا يباع للأطفال ثم شبَّكنا في بعضنا بعضًا على حائط قرب سريره كأننا سرب أسماك أرسله اللـه من أجل إلقاء وردة تحترق بداخله إلى الشاطئ، أو كأنه يجرب زرْع وردة في حائط.

دافنشي

أنقل المشـــهد فـــي الصخرة كما هو، جلس دافنشـــي بإزميله ضَجِــرًا يضرب في المســاحة التي يطولها خياله المريض بالصور، ظهرت أنثاه باسمةً وفي يدها اليســرى تليفون وزينتها نهدان يشيران إلى جبروت لا تسيطر عليه سوتيانات ولا هدوم، بدت إلى جواره مخلوقة كاملة يتأوَّه لهمسها في ضوء شمعتين قل ثلاثًا، تبادلا عناقًا في الزحام المتبدل في خيمة الرصيف، ولو تقدمت تجاههما بحجة إشعال سيجارة فرْط في جيبي، لن يلتفتا إلى وجودي من فرْط انشغالهما بالاكتمال هو

بإزميله وهي بحفرتها النائمة تنشـــر العطر الفواح في الهواء.
جميلان هما يتلامسان في شجاعة ضربت بينهما وبين العالم سورًا أمام خيمة الرصيف، ماذا أظن من مكاني وعيناي راشـــقتان في تلك الحركـــة التي لا توصف عندما يتهادى جسمها في خشوع ليمسك سحرًا هاربًا من نظراته المتلاحقة كمسافر على وشك الوصول إلى محطـــة النجاة همدانًا ليرتاح ويبدأ تعبه في التبدد فور أن يراها راضية تحت مخالبه الهشة.

جاء صديـــق وذهب صديق، جاء نبـــي وذهب نبي، جاءت صاحبـــات وذهبت صاحبات وهما ينســـجان للجميع شيئًا لن تحويه ألفاظ ولا عبارات، شيئًا أليقًا لا يموت أعرفه عندما أمسك رأسي من نشوة النظر إلى لوحتهما، آه... لســـت أعرف ســـوى أنه النعيم لامرأة وحيـــدة مثلي تجلس خارج خيمة الرصيف في انتظار

رجلي أن يمر من أمامي وأمسح بكرامته الأرض من فرْط شغفي به، أشهد أنني تكلمت مع المزيكا في خضم صخور تتدحرج من بحر إلى آخر، كنت في مدينة لا أعرف لها اسمًا، كنت رسَّــامة متجوِّلة لعشاق صيِّع متنزهين في الأماكن الفقيرة، كنت قدِّيســة وشيطانة بالدرجة نفســها التي يرقب الناس وجهًا كوجهي من ذبول الامتلاء بي كامرأة مهاجرة.

كتالوج لغسالة كهربائية

هي صديقتي التي بودِّي ألَّا تهدأ
بأن تظل تدور كالنحلة
ولا تتوقف عن ملاحقة عطر لوردة
بين ملابسي.

تدخل رفيقتي من الباب وتخرج
أمام الجميع

ولم تشاهد ولو مصادفة
وهي تجرب مترددة الشُبَّاك الذي بداخلها
وأنا بالمثل
أكون رثَّة اللسان والمنظر
وأكاد أسير بقدمين حافيتين
كلما انتفض قلبي وخرج
لإلقاء بقع دم في وعائها "السلِّسْتين".
منذ جاءت محمولة إلى بيتي
فوق كتفين لشيَّالٍ نحيفٍ
أرقب الكهرباء تطوِّحها
وكأنها تهتز كالسرير
بين الطرقة الطويلة والمطبخ
وأتذكر بيتًا من الطين كان خاليًا من أي أثر لها
وكم من أيادٍ بضة عارية كانت تقوم بالدعك والغسيل
نيابة عنها..

وكم من نساء دلوعات فقدن أن يتشابهن معها
ويدرن حول الطشت الذي ولدت منه
كأنهن أرواح شابة تمسح الوسخ
عن ذويهن.

لم أجلس هكذا أحيانًا بالقرب من مكانها ساهمة
وأفكر أن أركلها بقدميّ الحافيتين
أو بذلك "المَج" الذي أشرب فيه بين غسْلة وأخرى
كمية صغيرة من الكافيين
ليس بيني وبين الغسالة الكهربائية
موجز لتاريخ بإمكاني تدوينه عن قرب.
بالنسبة لي كانت صوتًا يؤنسني في ليالٍ موحشة
بلا رفاق
وكنت أنا بالنسبة لها
مجرد ظل لإنسانة تجلس أمام آلة ذات ضجيج

لا بد لها أن تعي قواعد تشغيل أزرارها
وتخطئ أحيانًا وتصيب أحيانًا
بلا استغناء عن ذلك الكتالوج الذي رافقها
من دكانة البيت المعاصر.

مرت بحياتي غسالات كهربائية
لم تكن تخصني بدرجة ما
حتى رأيتها في فاترينة العرض
وكان حبًا من أول نظرة من جانبي
ولم أدرِ هل من الممكن لآلةٍ ستأتي إليّ
محاطة بالكارتون المقوَّى
أن تبادلني إعجابًا بإعجاب؟
وأفكار تدور في خلدي عن ذلك الجلباب البيتي
الملون الذي سيلف قوامها؟

وهل سيكون لصمتها في أوقات عدم التشغيل
معنى لكلينا؟
أم أن الأمر لا يتعدى كونه استهلاكًا
بين طرفين ملّ كلٌّ منهما مكانه
وأرادا برغبة مشتركة اللقاء لبعض الوقت
تحت سقف واحد ليلعبا معًا ويمضيا إلى الاستمرار في
التهكم من الزمن.
هي لا تزال شابة لم يفنَ ماتورها
ولم ينل السكون منها شيئًا
لا تجاعيد لافتة للنظر
في ذلك القلب الذي يعمل
بالكهرباء.
بينما أنا ذات قلب إسفنجي عليل أرْقبها وأتمناها
بأن يكون لضجيجها الذي يصل الآن إلى أذنيّ كالعويل
سحرٌ لشفائي

لأهرع منطلقة لاحتضانها دون تذكر لتعليمات التشغيل
أو خوف من عطل مفاجئ.

أنا الكائنة المعطوبة أمام آلة ذات ضجيج
أهيِّئ نفسي بألَّا أكون مجرد مستهلكة
لحبيبة تنظِّفني من الخارج بالملابس المغسولة
بتلك المساحيق المعطرة.
وبودِّي من هذه الآلة الأنيسة لامرأة وحيدة
بأن تشفط كل هذا الوسخ الذي تراكم
بداخلي لسنوات وسنوات بدَّدتها من دونها.
سنوات هلكت فيها يداي ويدا أمي
ويدا إحدى عاملات "الدراي كلين"
ولم أحظ بشيء من تلك القشعريرة
التي تكسرني برقْقة صوتها الخشن.

أقف حائرة أمام المفاتيح
ولا يضيع من بالي
كم فنجانٍ من المسحوق المعطَّر
يلزم مياهًا بحجم وعائها لصنع الرغوة
ولا كسلٍ صاحبَ رجالا أدْمتهم
مُدد الانتظار إذا كانوا خطائين
في وجودها.
هي الثقيلة التي تعجز يداي البضتان
عن تحريك كتلتها إلى مكان آخر
بعيدًا عن تلك المساحة المعتمة
ولا يصل إليها ضوء كافٍ.
هل أستنجد بأحد لينقلها معي
وأراها جلية ويُنار طريقي للباب المدوَّر
في منتصفها وأُلقَى بداخلها وأنام للأبد
كأنني غريقة على وشك الزوال.

قالت سعاد

ذلك الرجل المسكين ضيَّع في الأوهام عمره حتى صار مسخرة رفاقه في زنزانة السجن العمومي.

كلما حل المساء ينتظر صوت مذيعة التليفزيون
ليملأ رأسه المتعب الوحيد في الظلمة بالشكوك والحيرة والعدل:
إنـــه صـــوت مذيعـــة التليفزيـــون وقد صار نفســـه صوت انقطـــاع أطفالي الصغار وأمهـــم عن الزيارة الأسبوعية..

يقول رجل في زنزانة لرفاقه وتدمع أعينهم الحزينة
ولا يرى في الظلمة سوى أوهامه.

VI

لنتخيَّل أنني النزعة التدميرية

وجوه يناير (1)

نحن مشعلو الحرائق في العقائد واللغات، نحن لا أبطال ولا مثاليون، نحن هواة الحضيض الذي ضرب الأرض تحت قدميّ امرأة أحببناها كلنا، هي امرأة الجميع دون تفرقة بيننا في حبها لأحد أو حب أحدنا لها هي المرأة المرآة.

هي المرآة الشـــجرة التي نزغلل بهـــا أعينًا لقراصنة بقطعٍ صغيرة من الشظايا عندما نكسرها في الأرض

ثم نجـــري للمِّها واحتضانها في قبضـــة اليد الواحدة لنرفعها عالية في اتجاه الشـــمس حتى لا نصير هدفًا ســـهلا للقناصين القحايـــب أولاد الخنازيـــر الهرمة. ويسقط رصاص المسدســـات بعيدًا بعيدًا عن رؤوسنا التي تلعب الآن لينطلق جيش من الجرذان المشتعلة من شاشة مثبتة فوق مجمع التحرير لتؤكل المدينة.. تؤكل تؤكل.. لسنا منشغلين بالزمن فلتؤكل وخلاص، حتى يقال إننا فعلنا مرة في خرابنا شـــيئًا له أنياب صالحة وحرائق مفيدة للخلاص.

نحن مرتـــدو البناطيل الجينز وضاربو الســـرنجات ومحبو المزيـــكا والصخب، نمـــد الأرض بالفوضى عندما تضرب أرجلنا الهشـــة كالحيوانات الأليفة في جنة الأب والأم لإنقاذ روح مدينتنا من النسخ والنساخ، صرنا نظهر كالنعاج المتشابهة في الشجرة المرآة.

نحن شحاذو السجائر الفرْط من بعضنا بعضًا، وضاربو ساندويتشات الفول والفلافل في السكك، وفي راحة بين جولتين في معركة سـقط فيها شبانٌ وشابات، وزعم الكهنة في التليفزيون أنهم ذاهبون إلى نعيم في السماء، وهذا كافٍ. نحن الهاربون من نيتشـة إلى لاكان ومن الخفة إلى الثقل ومن الثقـل إلى الخفة، ندير ظهورنا للبحر فرادَى وجماعات، ولا نريد شيئًا سوى الخراب فلتؤكل المدينة... تؤكل تؤكل.

نحن مقبلو العشـاق والمثليين والعصاة بالتساوي في الساحات وفي الشوارع الخلفية لإعداد مانيفستو البيبسي والخـل لإيقاف قنابـل الغاز بالضحكات الهسـتيرية والنكات وسـبِّ الدين لكل تلك الوجـوه المخيفة التي جلبت لنا الخراء.

نحـن مجربـون فاضرب عـدوك بي فـي ركوب

الموتوسيكلات البخارية لإحضار السبيرتو والأقطان
وأعواد الثقاب لنطلق ثــورة المولوتوف في الهواء..
الهواء الهواء.

وجوه يناير (2)

لا تُلقِ بالحجارة.. انتظر حتى نتجمّع في نقطة فنحن قلة وضعاف وصغار وحلم تجزأ إلى لقطات متقطعة كأنه شبه نائم وممدد فوق سرير محاط ببقايا زبالة يومه الفائت وكأنه شبه نائم بلا شيء يراه ويصدق أنه رآه ولم يكن جزءًا من خيال ولم 'نتذكر أنه حلم'(*).

لا تلقِ بالحجارة وأنت تدخن سيجارة وتغمز لفتاة حلوة سمَّت نفسها مشيئة في لحظة حب مرَّت مع رجل

(*) منذر مصري.

وعبرت إلى أول طريق صادفها لتموت مصادفة، ولا دخل لثوانٍ مضت قبل تلك الثواني في مسار الأحداث، فالمصادفات لها أثر السحر لو ماتت منتحرة من فوق قمة جبل سيكون للروح مدار للتحليق لم تنله وهي حية عن جدارة فاتت مستحقيها.

لا تلــقِ بالحجارة يا أخ.. نحن مســالمون مســالمون لنــداري التطوُّح الــذي يخفي رغبة قويــة كالهيجان المصاحب لحلم متقطع بحبيبــة قذرة وغائبة في الدم وأنخابــه التي منعت عنا كمصاصي دماء طُرِدوا إلى النهــارات الضائعة في الانتقال من كوكب الكيميا إلى كوكب الفودو.

لا تلق بالحجارة عليك أن تمد يدك لممرٍّ خفي إذا لمسته في موضع لصماء أن تخضع هي تحت لسانك مثل أي كلبة ذليلة تستجدي سيدها الكلب الذليل ألَّا

يتوقف عن اللحس حتى يسري في أوصالها كمصمتة تيار صاعق لم تتوقع من حدوثه أن ينفض ما تبقى من سنوات شيخوختها وتعود بين يديك شابة نضرة لتُلقَى هي وتُلقَى أنت في ذات الوقت في الهواء.. الهواء الهواء.

وجوه يناير (3)

بدت الحكاية كأنها صورة لمصور فرنسي مسنٍّ عن قبلة في أحداث شغب، كان الفتى يلازم الفتاة في الكرِّ والفر من الضربات المتتالية ضد الجهة التي رضت أقدامهما، الخبط لأجلها فوق الإسفلت بقوة لتصمد حتى تمر ثوانٍ وأيام وكانت الفتاة تلازم الفتى كأنها عاصمة المكان وهي لا تبوح له بالسر حتى لا يهرب مذعورًا من أمام السحر الذي ترسله لها السماء ليتحابَّا في جنون لا مصدر ودليل لكونه جنونًا يُسمع ويُحس

سوى ذلك الشيء الغامض الرغبة أن يكون كلاهما في الحب قويًّا وعنيفًا كما يحدث في الأفلام، لا كما يحدث ويتكرر في تلك الأحداث التي تُرَى مُجسدة في شغب وتسكُّع.

الفتاة خلف الفتى في خلفية المشهد بخطوة تحتمي بظهره وتدندن بموسيقى عتاب ولوم، والفتى غارقٌ في النضال بتلك اليد اليسرى الراسية كراية بضة تلمع بطلاءات مانكير حمراء وخضراء وزرقاء في تناغم لم تلمحه عيناي كمتابعة شغوف عصف بها الحب كالطيور مهيضة الجناح، وكفَّ عن التحليق برضا لا تخطئه عينان، فقررت أن تتابعه في مشهد كالذي وُلد عندما تناست الفتاة كل ما يحدث في ساحة المجمَّع واستمرت في الدندنة وسحبت يدها ببطء من فوق كتف حبيبها إلى أن طوَّقت خصره النحيل واحتضنته بعنفٍ كأنها جزء بضٌّ بسلسلة عموده الفقري يمنحه البركة والنجاة.

أراهما من مكاني مبتسمين ليلفَّ الفتى بجذعه في نصف دائرة وقدميه في وضعية معاكسة وعينيه كلية في مرمى هدفه، ليمسح أرنبة أنفها المثيرة بطرف شفته السفلى في حنان دغدغ مشاعري وكفَّت عيناي عن تتبع مسار تلك القبلة في أحداث شغبٍ طارت بسببهما لدقيقتين من أمام ناظري في الهواء.. الهواء الهواء.

نـون النسوة

جــاء الخراب بمنظره العكر، جــاء ابن القحبة زاحفًا على بطنه كالرجال المنايك جــاء وتمدد بحذائه فوق أكوام مــن القطن صنع بلادنا القديمة وتهامســنا في غرفة شرب الشاي ماذا نحن فاعلات ولم نكن نعرف له بعد مسمى، كنا نظنه يخربش مثلنا فوق جلده ليخرج عقلة الإصبــع أميرًا لأحلامنا يصادف ذبابًا لجمْعٍ من الخصيــان فيقتله تحت قدميه في مئات الســنين، كما تدور ماكينة الحياة فوق هذه المســاحة الخضراء من مدينتنــا كنا نظنه مــن قدامى الشــعراء وجاء ليلقي

قصيدة عصماء عن فضائلنا، ويتغزّل في جمال نهودنا كعربيات لينال قرشـــين ويمضي إلى حال سبيله، كما اعتدنا عندما نضرم النار ونجهز حفلة لشــواء اللحم الغارق في طشت من الألومنيوم.

كنا نظنه مومسًا عمياء قدمت في رداء أبيض لنلحس لها فــرادَى وجماعات فردة من طيزهــا النائمة في كيلــوت محلي يدل على تعاســة فــي الوصول إلى الأورجــازم.

كنــا نظنه اللـه وملّ مــن وحدته وجاء ليضرب كأس نبيت مع رجالاته المتصوفات اللواتي ظللن لسنوات في حفرٍ صغيرة تمر من مداخل، ومن مداخل إلى كهوف لعبادة ثورة بدينة توحي للناظر إليها في ثوانٍ أنها فأرة مغرورة وعليك أن تترك العالم وتتفرّغ لتمشيط فروة رأسها المتعب من الضياع، الذي صاحب كبر الرسالة على الرسولة.

جاء الخراب بمدرعاته وجنوده ونياشــينه وطائراته ومعرصيــه وتمادى فــي أن ينال من هذه المســاحة الخضراء من مدينتنا مــا ليس من حقه أن يكون أبانا الذي في الســماء، وأن يصير سيد قطب وحسن البنا نبييْــن فجأة من دون أن يكــون هناك قريش وجبريل وغار حراء وحــزب اللـه. جاء الخــراب ليكتب لنا تاريخًا مزورًا كأنه الفيلم والجمهور في آنٍ واحدٍ فماذا نحن فاعلات، ونحن نتهامس كنساء سافرات في غرفة شرب الشاي.

في مديح أرامل ماركس

بلا مقدمات أذهب إلى هناك
في ذلك الركن المعتم
كأنه أمر إلهي ولبته قدماي
ولا يبدو أمام ناظري عوْد أبدي بغنيمةٍ لشفاء
أصابني الخبل في سن متأخرة
تبدأ التهيؤات برائحة وصوت مخيفين يتملّكاني
في غير أوقات المخدر
وإذا بي مُلقاة كالخردة

فوق كرسي من البلاستيك
أتلفَّت يُمنة ويُسرة
في انتظار حشدهن ليأتي
كأنهن رائحات وغاديات بلا اصطناع
ومن تلقاء أنفسهن
فوق البراق الذي لرسولات جئن
لإصلاح ضلعٍ أعوج لا يخص سواي
ومن على شاكلة حبيبي من الرجال الأجلاف
الكارهين لليوتوبيا
لأتوقف عن الركض والهرب
في تلك المساحة الصغيرة من مقهى
يدعى "أرامل ماركس".

بسبب رائحة كالقوس
وصوتٍ مخيفٍ كالسهام

لغزالٍ افتراضي في موكب سرِّي
لا يرى تحت ظلي سوى الخسران
وبودِّه أن تسيل مني الدماء
بفعل الحصى الملقاة في هذه الطريق
التي حفظْتها عن ظهر قلب للاختباء فلم ترد في بالي على الإطلاق
مباركة لحشد من الرسولات
اللواتي جئن فوق البراق
بأن تقنصني رائحة كالقوس
وصوت مخيف كالسهام لغزال افتراضي في موكب سري
كن يومئن لي عن بعد
فرادَى وجماعات
هيَّا فلتشكلي يدك المستعملة كقبضة.

هو صيد سهل
ويجب عليك ولو بآلةٍ رديئةٍ
أن تمضي إلى نحره
كمتشرد في الزحام
فما هو إلَّا غزالٌ افتراضيٌ لحب طارئ.

عندما أكون أنا التدخين

- I -

وقفتْ السـفن الورقية فوق منضدة من خشب الباركيه وحولهـا جمهور من الصنَّاع فـي انتظار نقطة البدء لينطلق الجميع.

وكان مسـاء لا يبدو فيه أي أمل لنجـاة حتى جاءت غجرية عجوزٌ واقترحت تسـليةً ممكنةً بأن يكون لكل منا نصيبٌ من الخيال في مهنة وددت لو ضيَّعتُ عمري كله من أجلها، وقاتلت للذوْد عن تراب حدودها.

بدأت الشــلة في تقســيم الغنيمة التـــي نالوها بفضل المخدر، لن أحكي عن أي منهم وماذا فعلوا بســفنهم الورقية، ومن نــادى منهم أيتها الأخت الجليلة اركبي معنــا واتركي ما صنعت يداك من ســفين تبوش فور أن يلامس ورقها المياه الضحلة، فليس هنا مَن يرحل معك حتى وأنت تنجين سالمة.. ستظلين وحيدة.

سأقص إليكم عني لقد انفصلت عن الجمْع بعد وصولي بالمخدر إلى الحزن الذي سلمني إلى الفرح بما ليس لي، وكنت أنا التدخين الذي صاحب شفاهًا متعبة ملَّت ضجيجًا لازمها من أجل أن تكون مفيدةً لفعْلٍ يوقف إحساس الشلل الذي أصاب العالم في غرفة صغيرة تضم مآسيهم الكبيرة وترى البحر.

بدا كل شـــيء وكأنني دخلت في الحلم، وذلك الرجل جالس كالبلوة في المرايا وبين إليتيْه رسوم لفيلٍ صغيرٍ

بلونٍ لم تره عيناي من قبل وتعذرتْ عليَّ تسميته كحالنا مع بعضنا بعضًا.
صرفت عن رأسي الحكاية برمتها وبدوت نادمة أنني قررت منذ ألقِيَ في حِجري أن يكون بالنسبة لي نبي وقديس وكلب وقط وكتاب أفتحه ولا يمل منه ناظر لحروفه الذهبية التي تلمع شتاء.

وصلت إلى ممشَى أصل منه إلى بيت صعلوك من قديم الزمان ترك الغرف وجلس في ركن رُصَّت به مخطوطات ورسوم وإسطوانات مزيكا لتعلَّم النسيان على إيقاع صوت "ترومبيت" لكَنْس الزبالة التي ملأتُ بها روحي منذ هبطت قدماي إلى ظلمة الصالة التي ترمى عليها ظلال بسبب كهرباء زاحفةً كالغيوم من نفس الغرفة التي صارت للمعيشة برفْقة النمل الأكول للسكر الأبيض فوق ثلاثة أحجار من الرخام الأملس.

"رقــم **3** يمثلني، أكره رقم **1** أكره رقم **2**".. حســبته حديــث عهد بمصيبة، قرأ لي مقطعًا طويلًا ليشــرح لي تلك الصــورة التي ذيَّلها أيضًا باســم رجل يلقب نفســه بـ"الحســن البصري" لمجرد إعجابه بالإيقاع المصاحِب للنطق الذي يذكرني باســم جيهان السادات في هذه الفترة من السبعينيات عندما كانت الهجرة حقًّا مقدسًا كالماء والهواء.

- II -

صرت رفيقة نفسي أتمشَّى في تلك الصباحات الخالية مــن الزحام وأدمج روحي في طريق تدوســه عجلتا موتوسيكل لجســدين في عناقٍ عجيب يشبه مصافحة مجذوبٍ يطوف بألمه في دوائر لا تصل به إلى ختمة، كان يطوف وكنت أضرب يدي على مقربةٍ من رغوةٍ تخلفها همهمات تشبه الأنين المكتوم لضائع أمات اللـه في أحلام صوفية ليراه فجأة.

تلك المدينة هي تلك المدينة التي شــقت من بطنها إلى نصفين لتلــد جموعًا من الفارين إلى ســاحة الوغى ليرسموا مقبرة.

مدت أيادٍ وزواحف وغيوم لتزيِّن مباني من قديم الزمان من وراء سماء ساقطة كالبنطلونات الجينز فوق مؤخرات رجال ملُّوا تلك المدينة المسماة تلك المدينة

ظهرت حكاية في علم الأصوات واختفت المودة التي تشبه شبقًا تهيَّأ لأورجازم طويل في طابع حسن.

- III -

بدوت في نظر رجل عاهر مجــرد كومة من العظام لأنني عطلت مجوني فجأة ولا رغبة لديّ أن يســلت عضوه الصغير بين إلْيتَيّ لساعاتٍ، وفي المقابل أدمى

أصابع قدمـــيّ من اللحس ولا أفهم لماذا يبكي شـــبيه الماركيز دي ســـاد لوقوع عاشقة مثلي في حب رجل آخر كلما اختفى عاد شفافًا ولا يُرى إلّا باللمس لآخرين ضجروا من تمجيده في صور.

- IV -

تدفقـــت كالنبع الصغير بين صخـــور حمراء تضرب بعضها بعضًا من دون هزة ليد مســـتيقظة وتعمل في تدخين المخدر، أنا الابنة البارة لنفسي أهمهم في معركة ملأت روحي بالسحر وعدت ليس لديّ رغبة في شيء حتى لو كان تكسير أنف رجل لم يقبلني في وداع يليق بحب من طرف واحد. تدفقت كالنبع الصغير وصرت شـــلالًا من البســـكويت لجوعى ملّوا النوم في انتظار زلازل.. أكيد.

- V -

صرت روائية ترى الناس شـــخوصًا متخيَّلة ليس كما يقول الأفَّاقون مصادفة بحتة أن تتشابه مع الواقع رأيت رجلًا وامرأة في غرفة الإيميل أضاعا ضجرهما من الحياة البليـــدة في خيال مريض لم يبـــنِ لهما أدراجًا يضعان فيها من يوم ليوم قصة عما أخفيا عن العيون من ولَهٍ باللمس.

صرت روائية وهجرت مدينة الأشعار لأنني لم أرد أن أحلم بصوت كاذب يُدمِي العدل في كلمات سهلة لا تعرف للدم ثأرًا وللحب قبلًا وللاستغناء قانونًا هذا الصوت الذي يخرج من حنجرةٍ فاشيةٍ لا تخاطب سوى قدِّيسين هلكوا بسبب احترام مجد الإنسان.

VII

مجازات لغرفة الأوتيل

صوْتٌ مخنَّث

في تلك الأيام التي أُصابُ فيها
بمرض الإفراط في النوم
عادة ما أستيقظُ في سريري كريشةٍ تودُّ الطيران
وليست لديّ سوى أوهام صغيرة
سهلة التحقق
وتضرب روحي بجناحين من السعادة
لكوْني أدخن المخدر وآكل طبقًا من المهلبية

وأذهب لمقهى "الصخرة" في جوٍّ ضبابي يلف الطريق
القريبة للوصول إلي كرسي
من أجل إتمام الصفقة.

بحجريْن من المعسِّل
تبدو عيناي فضاحتين لي
ويشع منهما الرضا والحب
أتمهل في الحديث مع الناس
ولا أضن بملاطفتهم
كأنني فقدتُ حزني
ولا يحوطني سوى معمل الألفاظ الطيبة
التي يقل قاموسها تدريجيًا في رحلتي
لشارع العائلات الأرستقراطية
ويتوقف لساني نهائيًا عن الكلام
حتى يظهر لي فمٌ لمتكلمٍ

ينوب عني
في التعبير عن عاطفة جياشة للهروب
من هذا العالم الخَرِب الكئيب
: ألم تفكري في العالم السفلي،
هل أنت ابنة للخرافة؟
: لا
: ما العمل إذن؟
: أعلن كريشة بأنني وصلت
إلى هنا مشيًا على الأقدام
وليس في نيتي اعتراض
لشطْب أية فقرةٍ ولو مؤلمة
من كتاب الأقدار
أنا سعيدة وراضية تمامًا.

صوْتٌ مؤنّث

أتحرك في كوافير السيدات
في أيام الآحاد
اليوم الذي أفضله للتزيُّن بمقصٍّ لرجل ماهر
أجلس ورأسي مستسلم ليديه اللتين كانتا عن جدارة
أكثر حنانًا مع خصلاتي المتضائلة بمرور الزمن
من يدين لنساء لا يجدن سوى تقليم الأظافر
ودعك بشرتي بالكريمات وقضاء عطلة الإثنين
في النميمة حول مفاتني كامرأة ليس في انتظارها

ذَكَر على باب لصالون الحلاقة الشهرية.

لماذا لا يصدقن تلك الشمطاوات بأنني
قبلة من وراء الزجاج
جعلوني أمتلك ألفاظًا عصيَّة على الترجمة
وفي حاجة لامتداد بداخل عقول كبيرة
تفك شفرتها على مهلٍ
وتُعاد صياغة روحي
كأنني خارجة للقاء حبٍّ طارئ
في مكانٍ عام
كأنني كنزٌ من الأنوثة
في عينيّ حبيبي المراهق
والمدينة تتهيأ لثورة.

صوْتٌ مذكَّر

أنا إيقاع
أحسُّ النغمة بداخلي
إنني تلميذة لعجوزٍ بلهاء
سلَّمتني خيطًا لروحي وبينما أرتد للخلف
لطبْع قبلةٍ فوق جبينها من باب الشكر والامتنان
لم أرها ثانية بنفس الطريقة قادمة نحوي
وظلت صورتها الأولى تطاردني بالنشوة
القاتلة لما هي عليه الآن أمامي

في ترابيزة لدكانة الطعام.

كم أحببتُ تلك المرأة
ولكنْ لم يبقَ لها مني سوى الهجران
كأني زيٌّ أبيض
وهي جسد لراهبةٍ على وشك الذبول بداخلي.

صوْتُ سكين

أسقط كالصمت
كما يقول الشاعر السكندري
عبد العظيم ناجي
في بابٍ للوداع خصَّني به
في مستهل أشعاره الكلاسيكية
كنت في هذه الفترة ابنة للمطابخ
أتنقَّل من يدٍ لأخرى

ولا أتحرَّى لمن هذه اليد التي ترفعني خارج الأحواض
وتنظف رائحةً لشيء مقطوع
أتى بمحض المصادفة
تحت شفرتي الحادة
فليس من طباعي اختيار ضحاياي.

ترنيمةٌ لطفلةٍ عجوزٍ

يقال لها من أبويها نفس المعنى
بطريقتين مختلفتين
ولا يصل في حِجرها
سوى صوت واحد عن الهروب
إلى مكان آخر.

كان ذلك في أواخر الثمانينيات
حيث أظلمت القرية وظنت الطفلة العجوز

بأن شاطئًا لبحر رأس البر
بمثابة ملاذ لحياة جديدة
سيكون حارسها أبًا يعمل ليلا ونهارًا
في سوبرماركت وأمًّا ربة منزل
وإخوة صغارًا لم ترَ ولا واحدًا منهم
لكونها عادت لعائلتها الأولى
بتجربةٍ كاسرةٍ لطموح أنثى
في قصة حبٍّ لمراهق من أبناء
المُصطافين.

قصة حب قصيرة
لم يعد لوجودها أثر في المكان
وظلَّت عائلتها الثانية صامتة
ولا يذكرون أيامها

إلَّا إذا ملأ سوبرماركت الأبوين الجديدين
بذلك الصدى الرخيم
لفتًى ينادي ابنتهما الافتراضية
التي خرجت فجأة من غرفة السطوح
ولم تعد إلى عشهما الآمن
كالطيور المهاجرة
إلى نفس النقطة التي ثبت فشلها
في سيناريو البحث عن ريش لطائر
وأوهام الاستقلال عن العائلة الأم
هي ذاتها الطفلة العجوز
التي صارت ميِّتة في نوفمبر
تذكَّري.. تذكَّري نوفمبر
تذكَّري الثالث عشر من نوفمبر
: كان يومَ خميس

حيث استيقظتُ فجرًا
وثمة صوتٍ لثلوجٍ تغسل شباكًا في داخلي
من الإحباط الذي يأكلني
كأنني حُبلَى بدينة
على قارعة الطريق الترابية
يقال لي:
: سيحرسك الحب، فلا تخافي واركبي معنا في الباص الإلهي
سنمد لك يد العون وسنمنحك كرسيًا مريحًا
ومحاطًا بالوسادات
اركبي معنا يا أختاه..
: وتحديدًا في تلك اللحظة
وبينما يرن صوت لدفٍّ بين أذنّي
كأنني أزف لبهجةِ حاضرٍ سعيد
رفعت قدميَّ البطيئتين لأصل

إلى مدينة الإسفلت
وقد اختلطت روحي بالأنوثة
في أتون جمهور الباص
وصرت صوتًا لمخنث
بودِّه أن يظل فوق مقعده الطري
أطول وقتٍ ممكن
حتى يصل أو يشيخ ممتنًا
لكونه مُلِئَ بالمودة تجاه العالم
من رائحة اليود التي رافقت أنفي
من محبة لأخرى
ومن خرابٍ وفَلَسٍ ليسا سوى
خيطٍ واحدٍ للوكيشن كنز اسمه الوحدة
تذكري.. تذكري نوفمبر
تذكري تذكري الثالث عشر من نوفمبر.

II

كان بودِّي أن أكتبَ إليكَ

أناشيد ورقيَّة

النشيد الأول

فقدتْ أعضائي القدرةَ على الحركة
ولم تعد لي تسليةٌ سوى الكتابة
فوق أزرار الكيبورد
عن زهرة الصبح.

كان بودِّي أن أكتب إليكَ

من هذا البلد البعيد
شيئًا ذا بال عنِّي
ولكن عزيزي لويس
حياتي فارغة تمامًا
تبدأ ليلا بتدخين سيجارة حشيش صغيرة
والمكوث مدة ساعة ونصف الساعة أفكر فيك
وحثِّك لي لأشرب المخدر حتى الموت.
كبرت بعلَّة الطيور كما كنت تقول
عن رغبتي بأن يكون لي جناحان مطويَّان
للخلف.

الاندفاع قاتلٌ ليس إلَّا فتوقف عن التهكم
والسخرية بينما تقرأ هذه السطور
لم أكن سوى محظية

تمنَّت لك الموت الهانئ في يوم قاهري ممطر
بين أحضان رفاق الخيال
هل لا تزال تلتقيهم لويس
وتصر على تأليفهم بين شفاهك
هل تعرف لكم أحببت أسماءهم
وتلك الطريقة الملتوية
في الحكي عنهم
بين الانتقال من مقهى لبارٍ
وأنا بين أحضانك سعيدة
لكوْني أرافق رجلا جنتلمانا
يراني أجمل امرأة في هذه
المدينة المملّة
وبقدرة قادر بين حكاية وأخرى
على لسانك

أصدق بأنني "أليس"
وليست لقدميّ سوى التمشية في بلاد العجائب.
لمَ لا تزرني
بودِّي أن آكل معك الآن وجبةً خفيفةً
وتسحبني كالكلبة من فراشي
إلى غرفة الصالون لنلعب معًا
في وجه "ليلى مراد" بالقلم الفلومستر
بينما يصرخ أحدنا
الأسرع في الشخبطة
'كل هذه الروح لي'(*)
كنا مجنونيْن.. لويس
ولكم ملأ المرح أجواء غرفتنا الفقيرة
إيهٍ لويس
إنني يقظة وممتلئة بزهرة الصبح.

(*) محمود درويش "بتصرف".

النشيد الثاني

يا زهرة الصبح
أنت أختٌ لروحي العليلة
فلا تتركي اليأس يأكلني
من الداخل.

أنا ابنة لرائحة تخصُّك
ولكم تأملت منظرك البهيّ بحنان
ولم أفكر بأن أمسَّك بسوء
وكنت حذرةً من جموحي
كما لم أفعل من قبل

بينما أرفعك لأعلى بين يديّ
وتكونين على مسافة قريبة من شفتيّ
وأظل أؤجل كالمازني
أن آكلك كالأسد
وأهضمك كالنعامة
لكوني أراك يا زهرة الصبح
وحيدة وحزينة كإلاهة اليونان
التي بودِّي أن أصادفها
مرة أخرى
كأنني فريدا كالو
وهي أم بديلة لي.

النشيد الثالث

شلّحوني يا أوغاد خيالاتي المريضة
بودِّي أن أسير عارية في حِمَى حبيبي
ويقال عنه عنِّين أحبَّ امرأةً باهرة الجمال
ويقال عني بلهاء سباني(*) رجلٌ أحمقٌ ذو لسان طويل
للذود عن مفاتني
أنا ذات القدمين الثوريَّتين
لم أكن له سوى بيت ومدينة
للحاق بالباص الإلهي.

(*) سبَته المرأةُ: وقع في حبِّها، أسَرَه جمالُها.

النشيد الرابع

كنوزي مخبَّأة في سراديب
روحي الكبيرة
لأجل هذا الأرعن لويس
أعددت برنامجًا قصصيًا لموته أمامي
إذا لحس إصبعًا لفتاة أخرى
أنا التي وضعتها في طريقه المُعتمة
ليتمادَى نحو نُكراني.
ألست اليد الباطشة للذكور وهو مسلوب الإرادة
كأنه دميتي القطنية النائمة أمامي
بين كتاب الإنجيل وملاءة ملئت برسوم مقلَّدة
لفرشاة اللعين ماتيس.

النشيد الخامس

أنا الحلوة العجوز
ذات الأربعين ربيعًا
المادُّة يديها بين تلك السحب
لتُرَى بعينيه ملونةً بالغيوم
في نهاية فصل الصيف
كأنها على وشك أن تمطر ثلوجًا
لمَ لا يظن هذا المغرور لويس
أنني بودِّي قبل السير عارية في حِماه
أن أغسِّله مرات ومرات
فوق رصيف لمقهى وأزهار

لألقي عليه محبة من عندي
وأكون تلك العبدة الهائجة التي
أهداها إليه ملك الحبشة
كما خاطبني هذا الفتى الحلُّوف
في رسالة حب.

النشيد السادس

كيف أبدو كالوصَّافة لحالي هذه
إنني ثملة وخائفة
وأجلس بروْح فقيرة
ليس في حوْزتها من متاع الدنيا
سوى حقيبة 'أخطاء صغيرة
وعدة أسباب للقسوة'(*)
وبعض المجازات التي تسلبني كالخردة
لأنقاض عزلة تتراءى.

بودِّي الانطلاق خفيفة

(*) عبد الحميد البسيوني.

وسط موكب لحشود نائمة بين ضلوعي
لكم اخترعت صوتًا حنونًا
يؤنسني في ظلمة لغرفة بنسيون
وأكلت الوحشة وقطعتها بين أسناني
ولا تزال نجاتي رهينةً لصوت
على الطرف الآخر من التليفون
يقول بملء صوتٍ مرتعشٍ لمخنَّث
تعالِي إليَّ كجمْع من الأطفال حديثي الولادة
بأسنانك الذهبية
ليعتاد فتاي قوْل الألفاظ الليِّنة
في سمْت طيف لرجل
يراني الجميلة فينوس
مصدقًا إياي
أنني صُنع يديه الشريفتين.

أخت الليل

- I -

عُدت من صياعة منتصف الليل
بروْح ثقيلة
لمَ لا أحرك لساني وأنشئ للثقل
معملًا للألفاظ
وأظل كالببغاء
أبحث عن أيّ صدى لصوت

وأنوب عنه لأكون حاضرة في الغياب
بمَ أسمِّي رغبتي العجيبة هذه
لمن في مثل سني المتأخرة
أن أتحرك في حكاية لتسلية صديق
في مدينة أخرى
كأنه جمهوري الوحيد الجالس أمامي
على السرير المجاور
ولا يبدو عليه أثرٌ لحزنٍ
لكونه يراني شاخصة بين ناظريه
بينما أعددت أنا الطائرة المسكينة
هذه الحكاية برمّتها على افتراضٍ خاطئ
أن كلينا نائمان في مقبرة
ولا يسمع أحدنا الآخر.

ماذا أفعل الآن
هل أكف عن الامتلاء بالصداقة مع رجل عذب
ليس بودِّي إلَّا أن أختفي بين ألفاظه
وأصير ثمانية وعشرين حرفًا
عندما تلتفتُ عيناي وتجده مجرد تجسيدٍ لصوتٍ
بداخلي عن الحب
وليست لديّ من الأساس قصة ولا صديق
بإمكاني من خلالهما أن أكون بورتريهًا لببغاء
ضربني النقصان
ويملؤني الحذر
أن يكون للثقل معمل من الألفاظ
حتى اعتدت خفَّة الانتقال من حائط لآخر
من دون انتظار لتلك العتمة الباهرة، خارج اللوحة
ولا أصاب بالكف عن الإصغاء لأرواح ميتة

لم تكن سوى ريشٍ أخضرَ لجناحيّ
وحلم بدولاب من الخرائط لتمشية نهارية
تحت طراوة شمس نوفمبر
تذكري تذكري نوفمبر
تذكري السابع عشر من نوفمبر.

تبدو المدينة في عينيّ من بناية النوافذ
صورة مهزوزة لأشباحٍ
لا شيء ناقص
الكمال أغنية في زي الجميع
والبعض على نفس الدكة التي ترتاح عليها إليتاي جالسين
مثلي تمامًا في انتظار حدث ما.
عم السكون الأنحاء ولا بوصلة ترشدهم عن مخبأ لانبساط بسيط.

أليس الاستيقاظ من النوم كافيًا ليتغير العالم
بفنجانٍ من الكافيين وقراءة 'قصة كرديَّة عن فلاح'(*)
أتى إلى المدينة بحبيبته المريضة
ولم يكن عند هذا الفلاح أي شيء من النقود
لذا حمل للطبيب المعالج ديكًا
هو كل ثروته
وكان مصير ثلاثتهم الطرد من عيادة الطبيب
ثم تتوقف الحكاية وتصير صوتًا في الضجيج.

- II -

سكت كل شيء في قلب مدينتنا المملة
وحل الظلام وصارت عربات الشرطة بنايات متحركة
كأن فيلمًا يعد.. وها أنا ذا مجرد كومبارس مريضة
بالإنفلونزا.

(*) إبراهيم الحاج عبدي.

تتنقَّل قدماي بداخل اللوكيشن ولا أعرف ما المونولوج
الذي كلفت به في غرفةٍ مضاءة كجزء من الدراما

دخلت المكان وجلست صامتة
أتصفَّح وجوهًا لأفواه لا تزال لديها قدرة على المرح والانسجام مع الفرجة وبودِّي أن أصاب بالعدوى وأتمنى لعينيّ الزوال خارج النص فلا يمكن لشخصية واحدة لها روح فأرة ألا ترى المصيدة وتمنيِّ نفسها بالخلاص بعد قراءة الألفاظ التي حفظتها عن ظهر قلب بأن يخرس العالم من حولها وتتحرك وحيدة بين ممرات اللوكيشن ضاربةً عرض الحائط بالانتظار فلا سفن هنا فوق رصيفٍ لمقهى ولا حبلًا لنجاة
ادَّعيت بأنني أتيت إلى هنا لتركيب جناحين لروْحي صديقين على وشك الوداع كان لوجهي صوت ناصحة تتمهل للضم إبرتين في خيط واحد كربَّات البيوت الأرستقراطيات.

كنت بجانب إبرة الذكر في الباص أفتح بوابة للحكي
عن رغبة عارمة في الذهاب إلى خارج المكان بينما
كان هو يحدثني عن الإقامة الدائمة في المساجد
ولا تزال إبرة الأنثى التي تخصه في غرفة لبنسيون
تقرأ فقرة من "باب الشمس"(*)
عن صوتٍ لنهيلة أمام محقِّقي الشرطة
أنا شرموطة تقطر شرفًا مفقودًا بين إيابٍ وذهابٍ
وذهابٍ وإيابٍ
لثورةٍ تسأم حتى من نفسها الحيرى
في كل مكان.

- III -

فقدتُ خططي فجأة
هي الدنيا جاءت إليّ
وبودِّي إلقاء جناحيها في سلة المهملات

(*) رواية إلياس خوري.

ما العيب في الخسران
لكم ربحت وكان ثمة شيء يتلوَّى بداخلي كالنقصان.
لم يكتب لعينيّ الاكتمال
فلتضرب لي إحدى رفيقاتي الحمقاوات مثالًا
عمَّا أتى إليها وغرز أسنانه بعنف
بين ضلوعها
ثم كان له نصيب من الالتفاف
حولها كامرأة بيتيَّةٍ
أشهى من النظر لكادرات الأورجازم
امرأة بيتيَّة
لم تكن سوى صورة طبق الأصل
من زهرة مغربية بالأصفر
في رسمة ماتيس
خلقتْ لروحي قوة مضاعفة
للانفلات من بين الجدران.

- IV -

ماتت زينب ذات العشرين ربيعًا
ليس بطلقةٍ من مسدس
ولكن بحبلٍ لمشنقة صُنع يديها
ولم تترك رسالة.

ماتت زينب في صالة عادية لبيت
ملأت جدرانه بضحكاتها
في زيّ ملونٍ بالأنوثة الخافتة
كأنها لم ترضَ بعاشقٍ لمفاتنها سوى اللـه.

ماتت زينب في نوفمبر وكان لصوت الشتاء
خسرانٌ ضرب بين ضلوعها
ولم تلحظه عينا الليل النائمتان

في بطنٍ حُبلَى ويتهيَّأ لميلاد جديد.

- V -

هل أدخن سيجارة أخرى
وأجلس فوق سريري لأتأكد من كوني مرئية
وأنني عدت من الخارج
وليس ما أحمله من وهم الرؤيا
سوى امتلاء بصورةٍ للحب.

لِمَ كتب عليّ أن أتخيَّل صديقي
في علبة الليل
كأنه مشتاق لطلِّة من عينيّ
هل بهذه الطريقة كانت تسير قدماي
خلف مرآة بداخل رأس لمريض بالغياب.

بودِّي الحفر بأظافري
للنهوض من تحت حبٍّ
جعل مني كلبةً وديعةً.

- VI -

هل حلمت أن تكون هناك في الأعالي
بين السُّحب
ضمن هذا المنظر الطبيعي
وتجرِّب ولو لمرة مراقبة العالم بحنان روح
لم يعكر صفوها غبار لحياة ناقصة.

اسمعني أيها المسن البائس
ليس الْتهامك لرغيفِ خبزٍ فلاحيّ
وطبقٍ من الجبن

دليلًا على الفرادة التي في عينيك؟

لمَ أنتَ واثق في حالك هكذا
بجلباب وغطاء للرأس يذاكرانني
بأسمال "جان دمو"؟
هل أنت شاعر أم مجرد عابر
أتى إلى "واحة باريس" لتمضية الوقت؟
تعال لتحدثني
ولا تهرب بعكازك من أمام شرودي
إنني جائعة للكلام مع الجنون.

- VII -

أتمدّد كالوردة في الشتاء
بين ساقين لفراشة

بينما تتهيأ رائحة لفُحش في داخلي
للانطلاق في الأرجاء.

- VIII -

من أين يأتي التحليق لقدميّ الحافيتين
لا ريشًا ينبت على حوافِّها ولا معنى ضاربًا
في زرقة أوردتهما من الصقيع
إنهما يعلوان تدريجيًا
كأسيرين لمنطادٍ غير مرئي
بمَ أربطهما بداخل الطرقة
للرسو فوق نقطتين لخطوة قادمة
بداخل غرفة الضيوف.

ما عاد مستودع جسدي البض

يحتمل وهمًا لطيران
بودِّي لرأسي أن يسكر في فيض من الرحمة
يشملني عندما تحتضن قدماي
بعضهما بعضًا باللمس
كأنهما في عناق بين مرحلتين
لأجل السكون الذي يلي الوصول لحلمٍ شاهقٍ
يقال عنه الصيد الثمين
بينما أنا على حافة النوم
أجرِّب صيد السمك من نبع صغير
في جدارٍ لسرير عاشق قروي
ولا تزال قشعريرة الذكرى
تعمل كالمجاز البطيء
كالطيور الجارحة
كالهبوط الاضطراري

كأنني أنثى لذَكَر النسر النائم
في غرفة بعيدة عن خريطة المكان
وثمة قوة لأنفي
تجلب تلك الرائحة الشبيهة برَغَاوى الصابون
وتدوِّخني في طيف
تلك الموسيقى المصاحبة التي تنتشر
بارتفاعٍ لصوتٍ خفيٍّ
من ثقبٍ لا يُرى بالعين المجردة.

حلّ الضباب
ولا تجسيدا لشيء
سوى الأحلام الملونة.

- IX -

لا يزال لديّ سرير في غرفة بنسيون
ونهار وليل أمكث فيهما بمقاهي التسلية وإضاعة الوقت
وحلم أن يكفَّ الأشرار من حولي
عن إيلام روحي الغارقة في الأوهام.

لمَ لا يصدق هؤلاء الأوغاد
أنني كالقطة الطيبة التي بودِّها
أن يكون لذيلها مصير لاحتضان شجرة في غابة
ولقدميها الأماميتين عمل شريف
بينما الخلفيتان ترفعان صوتًا لنداء حلمها
من مكان غامض
لا تزال لديَّ جنيهات قليلة في بنطالي الجينز
ودولاب خشبي صغير وثلاث حقائب من الملابس

وكرتونة كتب مترجمة عن الرسم المعاصر
وتليفون محمول تقليدي ماركة نوكيا
وصداقات مع الأصوات الطرية لشمس الصباح.

لمَ لا تضربني غيمة وأحمل بين ذراعيها البضَّتين
وترضعني في زيٍّ خليع بين ثدييها وأكون أنا أميرتها الحسناء في تلك الطريق
التي يحفظها الجميع للوصول إلى هوْدج عمياء
لآكل بفخرٍ وفُجرٍ هائلين
أتون وردتها جهارًا
وسط موكبٍ من المنشدين باللهجة الدارجة
ثم يخاطبونها بعطفٍ ككنيسة
ويخاطبونني بحزم كزنْديقة.
لا يزال لدي رأس يفكر
وقلب لشاعرة من بلاد فارس كأنه خريطة

ويؤمن على طريقته أن لويز فيديليو عاهرة
بخمسة فرنكات و'لديها طريق واحدة لكسب المال
بالإكثار من الحديث عن الأخلاق في الفن'(*)
أمام جمْع لجمهور من الذكور الخصيان
لا يزال لديَّ حلم بفوضى عارمة
أن أجعل لبودلير روحًا لأنثاي
وأصدِّق أنه ليس فرنسيًا
ومجرد قديس غلبان
لم يسعَ إلَّا لاعتراف الآخرين بمجازات ملتوية
في بيوت البغاء
ولا يعترف بفضل غيوم أبولينير
عندما يلتقيه مصادفة في الأبدية
لا يزال لديّ وهم جميل

(*) شارل بودلير.

أن ألتقي بالحب
في سطر من الأشعار الرخيصة
غير المطابقة للمواصفات
التي يكبر بها ريش لطائر
وهذا يكفي يا اللـه.

- X -

تسللتُ من مخدعي
مخدع الأميرة الحسناء
على أطراف أصابعي
ثمَّة نداء لعبارة عن الفراق
لا أعرف لمَ ترن صياغتها بين أذنيّ
بينما أنا غارقة في الحب.

- XI -

بودِّي عد هذه الشجيرات التي تزيِّن
أرضًا وسماء على مشارف الحقول
لا يبدو في المنظر الطبيعي منشدون مرئيون
ولكنني بكل تأكيد أسمع أصواتهم
وترقص أعضائي
على إيقاع أخوّةٍ مفقودةٍ بيننا
أميل بذراعي فوق سور لبلكونة
وتحتمي أسراب الطيور المهاجرة
أمام عيني بالتنُّقل بين روحين لإلاهة وحيدة.

- XII -

تجر أقدامهم إلى هناك
كأنها عرباتٌ لأحصنةٍ مفقودةٍ

أدماها الإعياء
هؤلاء الهاربون من البيوت
إلى مساءات السمر بين دردشة الذكور
ورمية النرد.
الجالسون فوق الرصيف
الذين يشغلون حيزًا صغيرًا من الروح
بينما النصيب الأكبر منها لصوت في داخلي
يدفعني لإجراء مكالمة هاتفية مع محبَّة الخسران
ولم لا أفعلها وأظل هكذا غارقة في الأبدية
متنقِّلة بين جنتين من ألفاظ
أنشئ حديقةً ورودٍ لم تخطر على بالي
بينما في تلك اللحظات القادمة من حياتي
أعدُّ نفسي جديرة أن أكون بينهم زائرة
على وشك الإلقاء بالسمكة في حيرة المياه.

- XIII -

ثمة صفقةٍ لرجل الأسى
في دائرة الحي الأرستقراطي
هو شحاذ عادي
في سمْت بائع لعلب المناديل الورقية
يبدو لمن يصادفه كأنه البطء
الماضي إلى نقطة مجهولة.

- XIV -

ضربت العاصفة ترابًا وصار التراب غطاء لمدينة
وصارت المدينة علبةً لليلٍ وصار الليل مريضًا
وصار المرض محض خيالات
نحن في مقدمة تهيؤات لألفاظ جديدة
قيل كلامٌ عديدٌ عنها

مثلًا: يقال للنائمة في فراش وثير
أوصاف لا يلحظها من يعلمون
أن ثمة إبرًا أليمة بداخل حركة حواسها
غير المرئية بالعين المجردة
ويقال للمرأة الوحيدة ابنة الشوارع المغطاة بركام هائل
من سنين لعدم الاغتسال
أنت لم تستحمِّي في بانيو لرجال بودِّهم التقاطك
كالنسيان بين أسنانهم
بينما عيناها تعملان مثل الخطَّاف الذي يبحث عن
صيد لمحبة عابرة
هل نكمل أيها الذكور الملائكيون في الطرقات ثرثرةً
ناقصةً عن ترابٍ لعاصفة؟
بودِّنا كأصوات أن يكون له فعْل سحري
ويغطَّى به العالم ويرَى كل شيء باللمس
حتى تلك الكهوف الراقدة بين أفخاذنا
مثل ورودٍ مغطاة بالدانتيلا.

شاعرةٌ وروائيّ

كان صوت صديقتي في التليفون حزينًا كأنها فقدت حبيبًا، جاءت لتزوره وعندما وصلت إلى بيتها أحسَّت بانقباض مفاجئ جعل مسار مسائها متشائمًا، وكأنه لم يمت منذ سنين في مستشفى باريسي، وكأنها لم ترْثِه بقصائد عذبة لم توجعني بمقدار صلابتها، وهو يمر في حكاية على لسانها تخصه بخجلِ من عجزت أن تكون لنفسها مرة واحدة في العمر، وكفَّت عن أن تكون مخلصة لآمالها.. كأنثى لوحشٍ في شريط

سينما لم ترَ من أنصاف العشَّاق سوى الغبار، وعندما صادفت عاشقًا
حقيقيًا هربت به إلى المقابر.

ضفدع ينقذ المدينة

جلس الرجل القوي الشجاع أمام المرأة القوية الشجاعة في حال من التأمُّل لغريب بين سرب من الجاليات الأجنبية، ثمة حزن جذبَ المرأة إلى الرجل، وثمة وشْم فوق الخد الأيسر جذب الرجل إلى المرأة، كليهما في مواجهة الآخر في خفاء وترقب سيخرجان المرأة عن وقارها، وتحادثه فجأة لتكسر سكونا ألمَّ به أثناء قراءة كتاب عن أوفيد عاملة "البورنو" والفلسفة، ويلبيِّ هو كالسكران وقد وسم الخجل عينيه ما رغبت به أن يفعله أمام رفيقها الفرنسي أن يضغط بإصبعه

فوق وصْلة تليفونها المحمول حتى لا يكف عن شحْن خيالها بالأوهام عن محبة امرأة لرجلين في آن واحد.

مناجاةٌ ليلية

هــــاي.. خَرَجْتِ لي الليلة كالوحش من خزانتي وكنت تعدِّليـــن من نظارتك الطبية فـــوق أرنبة أنفك المثيرة لغرائزي النائمة في جوفي تجاهك، وكنت أيضًا آسفة على هذه اللفظة فهي في قاموســـي السري شتيمة في أي موضع لها، وكنـــت أيضًا كالمراهقات المبتدئات، آســـفة على هذه اللفظة فهي لا تلائمـــك، أعلم أعزّك اللـه ومحمده ويســـوعه، أعلم صدِّقيني فأنت حبيبتي وبودِّي أن أوبِّخك قليلا، تحاولين أن أميل إليك، أي أن

تمتلكينـــي كلية في صحوي ومنامي وتدوري كالدبور الأخضـــر الذي كنـــت أصطاده وأقطع أحـــد جناحيه مصادفة لهشاشـــتهما بين كفيّ الصغيرين ليظل تحت سيطرتي عاطلا، ويكف عن الطيران في حقول الذرة حيث، وكفاك اللـه شرًا، كنت أسرق منها حقول الذرة لتتذكري أنا وصديقات الطفولة غير المنتميات لطبقة الفلاحين في قريتنا البعيدة عـــن بيتك أكوامًا وأكوامًا وأكوامًـــا مـــن ســـيقان الملوخية الخضـــراء الفوَّاحة بالرائحـــة الزكية، ثم أذهب إلي أمـــي فرحة بالغنيمة المربوطة بعيدان القش وخيوط طائرتي الورقية، وما أدراك مـــا طائرتي الورقية، في صباي ملقيةً إياها في حجرها وما كان من هذه الأم المراهقة أيضًا - آســـفة على هذه اللفظة أيضًا يا أمي - كما سبق أن أشرت كما تســـمعين لحبيبتي فيما سبق من كلام غير موزون إلَّا أن تخرج لي هي أيضا كالوحش من خزانتي وتعنِّفني وتدور مثـــل الدبور الأخضر في حقول الذرة الطويلة

لتمتلكني مثلك تمامًا لكوني طفلة صغيرة تخاف من العالم، وليس أمامها سوى أن تبكي لتطلب منكما أن تحمياها من ذلك الوحش الذي يخرج من الخزانة.

وبعد اعتيادي على الوحش والرعب والتبول واقفة أدركت ذلك والأسى يملأ عينيّ الحزينتين حزن التنين آسفة على هذه اللفظة التنين فهي مزحة في قاموس كلامي الصريح أنه لم يكن هناك وحشان قدريان متشابهان في حياتي إلّا سواكما كأنكما نسختان مكررتان، ويجب عليّ إنقاذ نفسي بعنفٍ من ضراوة حبكما الذي يطحنني كلما مرت إحداكما كالملاك الذي يضرب بجبروت ناعم على أوتار جيتار كهربائي أحمر بلون الدم، هو ذاته روحي في سياج.

ما معنى لفظة سياج التي تدوسها أربع أقدام مجتمعة في اثنتين مُزَّتيْن من الغجر فاجرتين في الخصام والتلويح بمعاقبتي كلما أسأت التصرف معهما وقالت سجيتي بنت الخرافة كلامًا لا يصح التلفظ به أمامهما،

صدِّقانـــي إنني رثة ويتيمة، ولـــي روْح خربة حزينة ورأس مبلـــل بالأوجاع كلما لاح في خاطري غيابكما عني فجأة في انفجار عبوة ناسفة أو قنبلة حان لمؤشر توقيتهما أن يضرب أثناء مروركما كأختين ناضجتين ســـاهمتين في طريقهما لشراء بدلة من كرداسة لأداء رقصة شـــرقية أمام مرآة غرفـــة النوم، وفي حضرة صـــوت "عدوية" المفقود هناك هناك في الجنة، حيث 'الـ"بيـــك آب" موضـــوع كما تريان فـــوق صندوق زجاجي'(*) وتتهامســـان عني بلغة الحور العين كابنة لكما بالتبنِّي طال بُعدها في الجوار خلف سور الجحيم فـــي جهنم الحمراء كما يقول الباعـــة الجائلون عنكما على ســـبيل المغازلة في سوق كرداسة، وكْر الجميع من شعبيين ولصوص ومتدينين وخارجين عن النظام الـــذي يكافح الجميع هنا من أجله، ولبقاء الوضع على ما هو عليه لترسيخ حكمة الأفول.

(*) ميلاد زكريا يوسف.

وبصراحة كم أنا وغدة، أيا حبيبتيّ المســـافرتين إلى السـماء بين السـحب وجنب اللـه وكرسيه المرصّع باللازورد، ما معنـــى لفظة لازورد؟ هل تعرفان حقًا هه يا كلبتيّ المراهقتين الشمطاوتين هنا وهناك.

فندقُ الوجود والعدم

أستيقظُ فجأة كأنني قلقة لموعد ما سيفوتني
يضربني الصداع أحيانًا
ويأكلني البكاء أحيانًا
لا أعرف كيف أكوِّن شريطًا لحلم كامل بلا وجوه
أن أرى مشوشَّة كالألم كالدموع.

أين كتالوجي
أنا إنسانة محبَّة للمرح والرجال

وجئتُ إلى هنا لأشفى من الآلام
وأغازلُ ذلك الرجل كأنه ابن لجاري النائم في مقبرة.

VIII

قطارٌ لا يوقفه سوى نداء الموت

هايكو الأصفار (1)

كنت صوتًا لمطرٍ يضرب في الصخرة المستقرة تحت جذعي فيما يشبه الحلم الذي تردَّد في منامي وصحوي أنا شجرة نفسي سقطت أوراق أغصاني بفعل الخريف وصرت جرداء ولا يفكر عابر أستظل يومًا بظلي أن يروي عطشي لأهنأ قليلا وأنسى ما ألمَّ بي من وَجع وحزن، أنا شجرة حقيقية رُشقت شتلتي في الأرض من كفٍّ غليظة لعامل الحي في تلك المدينة المملّة، بل ويا للمبالغة، أكاد أجزم أنني ولدت في خيال النساء الأكبر سنًّا لكي يأنسن بي وتملأ لحظاتهن بالمرح القليل الذي

لا يطال إلَّا برفقة جنتلمان وحيد لا يجيد سوى قراءة الروايات القصيرة.

عشت متنقلة من رأس لرأس في بيت العجائز ولم أجهز جيشًا لتحرير نفسي ظللت مطيعة لهن حتى متن واحدة وراء الأخرى ففرغت حياتي من ضجيجهن الشبيه بالعزف العنيف لظلمة وانطلقت في سن متأخرة وحيدة وحرة كأنني قطار سريع لا يوقفه سوى نداء الموت.

هايكو الأصفار (2)

رستْ روحي في قلب مدينتنا، ونلت منها ما أحب من رفاقٍ من البشر، وما أكره من تقليم في موسم الربيع وكنتُ مشتاقة للغة الكلام بينهم وهذا السحر الذي كان يلمع من إشارة باليد لنقصان معنى لم ينشأ لشيوع الكلمات الغليظة المبهمة عن شجرة نفسي تشبهت بهم ولم يتشبهوا بي لكونهم لا يلاحظونني إلَّا في طريق لدفن الموتى من بيت اللـه إلى المقابر.

هايكو الأصفار (3)

الحاوي رجل ذو وجه مشوّه يأكل النار أمام مقهى
ولم يرَ ذات مرة عابدًا للنار.

هايكو الأصفار (4)

أظلمت الغرفة ولا أعرف ما الذي يدور حولي، ثمة أثر لقبلة فوق جبيني كنت حزينة لدرجة أنني مندهشة من نفسي ومن استحواذٍ لخيالٍ لم يأتِ سوى بين غفوةٍ وأخرى، وبودِّي تحطيمه لأنهي مرحلة وأشيِّد جسرًا للأنانية بيني وبين العالم.

هايكو الأصفار (5)

جلســـت في الصالة ممددّة كالموتى فـــوق مرتبة من القطن أفكـــر وأتأمل غاضبة لأيام وليـــالٍ عديدة من دونك أيا حبيبي العِلق تعالَ إلى جواري لأضمَّك للأبد بلا إفلات من بين ذراعـــيّ إنني متألمة وبودِّي حرْق تلك المدينة المملّة التي أفسدت نظرات ولهانة طبعت من مشـــاهدات خاطفة من عينيك الســـوداوتين لسفني الغارقة في الهجران.

لمَ لا تكتب لي خطابًا معتذرًا عما فعلت وأســـبُّك مرة أخرى وأسب الحظ ولؤم الرفاق.

أكثر مرضًا من الملاريا

صار الغضب يضرب في الداخل ليس لذهابه ومدْيته العاطلــة عن العمل بعيدًا عن متنــاول يديّ، فأنا قطة شــوارع عنيفة بطبعي منذ الصغر وتحديدًا منذ لعبت مع فرســةٍ صغيرةٍ على اسم أختي الصغرى، وشجَّت رأسي، ولكن شيئًا يمسك رأسي ولا يتوانَى عن الدهس في بطني بحذْوة حديدية على شكل إحدى قدميّ أخيل في مســاء ريفي كئيــب ويهزها بعنــف لتتوقف تلك النوبات الصاعدة كالحِمم في عروقي وأسلاك جسدي، إنه شــيء يتجسَّــد أمام ناظري، وكلما همّت روحي

الشـــريدة بالتقدم نحوه لتراه واضحًا، وتسـمّيه باسمه الناعم كالحرير عندما تنطقه شـفتان، كلما حدث هذا انتفضت وسـيطر الضباب على أجـواء المكان الذي تخبط فيه قدماي كالأطفال ليقترب هذا الخاطر أكثر ولا يختفي.. في هذه اللحظة تحديدًا يتبخر غضبي ويطير في الهواء، ويشـمل الأسـى عينيّ وقلبي وأصابعي وتنهُّداتي ورسائلي.

الحمقى في خـارج المكان يُصْغـون إلى صراخي، وأنا أسـقط من الإعياء فوق كراسٍ حديدية متروسـة بالقطيفة الحمراء ووردات الدانتيلا الموف في كيلوت صديقتي الماشوسـية "يمامة اللـه"، وينادون عليَّ في شاشة تعرض فيلمًا لجيم كاري تقدمي يا امرأة تقدمي واذهبـي حيث يقـودك قلبك اذهبي إلـى حلبة الحبِّ الصحيح لتكوني أسـيرة لقيْـد الحب مرة أخرى، فلن يخسر المرء شيئًا إذا لدغ من نفس القيد مرتين وودِّعي

الـمومسات الحياة طويلة وجديرة بأن تُعاش تحت أسْر رائحة حب صغير لا تزال قابعة في أنفك التي صارت عنصرية مع النساء الأخريات.

كفي عن التدخيـــن قليلا يا **Woman**، واذهبي في أمان اللـه إلــــى رصيف الأزهار بملابس رثَّة فالعشـــيقات الحقيقيات تملؤهن الرثاثة وهن غاضبات من أحبائهم لا لشيء سوى اختفاء ملعب الملاكمة من دون مقدمات كأن منتحــــرًا قرر أن يقول وصيته في محادثة خاطفة لشخص غالٍ وعزيز، وجميع حروف الأبجدية جهلها لسانه فجأة مع أول آلو مرتعشة وخائفة، وكأنه يحادث قبل الموت قـــدره الأحمق النذل الجبـــان، وكأن ميتًا يتحدث لميتٍ في إبجرامية بطولية على وزن متفاعلن متفاعلن ليجلب له الحماسة والبطولة 'شكرًا لكم شكرًا لكم فحبيبتي قتلت وصار بوســـعكم أن تشـــربوا كأسًا

على قبر الشـــهيدة وقصيدتي اغتيلـــت'(*) تذكري هذه القصة القصيرة الحزينة قصة بلقيس ملكة سبأ ثم اذهبي أســـفل بلكونة حلمك وإن لم تكن هناك بلكونة جسديها بناظريك ثم حركي يديك بكل ما أوتيت من قوة، وارمِ الوردة عاليًا عاليًا في الهواء فلن تخسري شيئًا صَدِّقينا لو تمردت مثل الرجل "ترومـــان" على كاتب النصِّ ومخرجه وخرجت من لوكيشـــن المهندسين متمطّعة كصعلوكة رمتْ عرْشها تحت دكك خشبية على جانبيّ طريق شارع عرابي اللذين تضمهما بين عينيك الفاتنتين عادة عدسة كاميرا "سونيك"، وتجعلهما اتجاهًا واحدًا في رحلة العودة من بيت البغاء التي تنتشر كالنار في الهشـــيم في كل حيطانه صـــور لموديلز عاريات من حقبٍ سحيقة.

(*) نزار قباني.

عاشقٌ من الشرق

لم تكن باريس ســـوى محطة لاســـمه كلبنانيّ أدمت الحرب قلبه، فمن الذي لا تدمي قلبه الفاشـــية؟ في تلك الأرض التي تحت قدميه أراد أن يكون له جســـر مع الشرق الحبيب البعيد عن العين ليبدو كأنه العاشق المُسن الذي تمهَّل في تأليف أغانٍ عن الحب من طرف واحد، وسمَّى نفسه سليم نصيب، وصار معروفًا أمام اليهود المهاجرين بالخيّاط المغروم بلسانٍ حكايا يصاحبه عن رامي وأم كلثوم وعبد الناصر في خيط واحد.

قلبٌ أبيض

لا أعرف في تلـــك اللحظة التي خطر على بالي أنني عشـــتُ حياةً قصيرةً ماجنةً فيـــمَ كنت أفكر، ولِمَ هبَّت رياح يرافقها صوت لأغصان شـــجرة نفســـي، وهي تهتز بعنـــف كأنني بكامل مخالبي أقص اللــه في هيئة فتاة شـــبيهة بي في مرايا غرفـــة النوم، ولا أرى منها سوى إيماءة بالرأس في ليلٍ طويلٍ طويلٍ.

سيرة مكان

في تلك الأوقات الحالكة التي تدمي قلبي.. لاعبان قرَّرا التوقــف فجأة عن مدّ العالم بقصة يرددها عنهما، يبدأ أحدهما في مغادرة المكان ويظل الآخر داخله وليست هنـــاك دراما من لحم ودم بين اثنين ينظران لدوريْهما في حياة بعضهما بعضًا كمحطةٍ عابرة.

يبدو الذي غادر ضحية تفتح له بوابات التعاطف حتى من الذي بقي شجاعًا في مكانه لإعادة صياغة عبارات عن جدران شاركته أيامه، ويريد لقدميه أن تتحركا

من دون كراكيب مخيفة لا تكيِّسها في أكوام سوى الأرواح الكبيرة حتى تؤكل بعنف وتختفي.

امضِ ولا تدوِّن حزنًا: تقول امرأة لذلك الذي بقي في مكانه بينما تذهب من غادرت كضحية إلى حضن رجل آخر ولا يقال شيء من صدى مضاجعاتٍ وزحفٍ لقُبلٍ إنهما ملَّا أيامهما معًا فلا يعترف العالم سوى باللت والعجن.

لســت راوية عنهما أنا مجرد لاعبةٍ جالسةٍ فوق دكة الاحتياطي لمراقبة معنىً لنارهما المشتركة التي خبت كأنها جســم محترق لشخصين في طريقه للسقوط في حوض البانيو، وإذ بيد القدر تتدخَّل لضرب رأسه في أقرب صخرة من أجل ألَّا يســقط مغشيًا عليه ويصل لنقطة البدء متوازنًا بخدوشٍ أقل.

يحدث هذا لأن حياة أحدهمـــا لا تختفي لمجرد غياب الشخص الآخر عنها، حيث رهْن كل شيء هنا بالتعود الذي لو كسرت أنفه وصار عبدًا لك ستصل سالمًا من الآلام التي لا يعرف البعض وليس الجميع كيف تؤكل وتختفي في حياة قصيرة ماجنة.. تصاب الضحية التي غادرت بالهســتيريا بينما يُشــكَّل ريش للذي بقيَ في مكانـــه برغبة حقيقية في التحليق الحذر تحت ســماء أخرى.

IX

قصصٌ مُتخيَّلة
على لسان عاشقين صغيرين

الفتى (1)

بودِّي أن أمرض وتأتي إلى سريري
في زيٍّ شيطانة تعدني بالشفاء
فلا يعرف عني أنني لست
ماضيًا إلى الموت بلا أخطاء.

أرفع خلاعتك في وجه مثاليين كانوا لا يعرفون
كم أتمنى أن أغرز كفي المرتعشة في سرير المرض
بين خصلات شعرك البيضاء التي تعلو وتهبط مثل
الريح حين تهب من بين عينيك

وأنت ساهمة بينما تسرقين نظرة لصنم على وشك الاختفاء.

كأنني فقِدتُ منك وعدت بعد أيام
مطعونًا بمطواة في مشاجرة
لم تكن لي فيها ناقة ولا جمل
أيتها الجبانة هل ستأتين لي زاحفةً في مرضي
لأدوس حبك بين أصابعي المفرودة تحت
الملاءات الناصعة
وأخرجه عنيفًا مستسلمًا لجمْع
بين رصيف أزهار ومرآة.

الفتاة (1)

عد إلى رشدك يا أخي المفتون بي
ليست بيننا حكاية أصلًا
أنت مجرد وهم دخل من باب لم يكن له وجود
باب صنعته تحت شجرة عجوز لأشفيك من الموت
هناك بؤس كتب عليك ولزم عليّ أن أنقذ روحك الطيبة
من تلك الأقدار التي جاءت إليك مرغمًا
لست سوى تجربة لعزْفٍ
ضمَّ شفتيك وانطلقَ في الصفير

ولا يفوتك شيء من إخوَّتنا
نحن نظرتان تحابَّتا في مساء بعيد
واختفتا وذهبت كل منهما إلى مدينة أخرى
فلا تبتئسْ وانهض من سرير المرض.

الفتى (2)

لا تقلقي من شيء أختاه
أنا جالس الآن في قلب مدينتنا المنيوكة
تحت تلك الشجرة العجوز في انتظارك
وأعلم أنك لم تعد لك روح كبيرة لتأتي
وتنسجي لي حكاية عن مدينة البحر.

هل يروقك لو قلت كم سأحبك
في تلك اللحظة التي ستدخلين فيها
فجأة كأنك سمعت النداء.

الفتاة (2)

يومًا سأضع الإبرة والخيط بين شفتيك
لتصمت قليلًا ولا تتكلم وتكف عن الهراء
لا تظن أنني مراهقة وسآكل أشعارًا قيلت من أجلي
أنت أحمق وقد فات عليك أن الحياة ليست بين دفتيّ كتاب
ولكمْ سخر الشعراء من بعضهم بعضًا عندما يبني أحدهم صرحًا من خيال
ولا يتوقف ليأنس بشخصٍ غير موجود ولم تُقَل له

أغانٍ دامية يخرج منها جثث ودماء وسكاكين
كفَّ عن أوهامك وتسلَّى بغيري
فلن أهبط من أعلى نقطة فوق الجدار
وآتيَ ببساطة لأحادثك كأخت غفرت لأخيها
كلمات كلها هراء في هراء.

اِلْمس الأرض وتوقف عن المشي والتلفُّت
وراء رائحتي فلست وردة اللـه التي تخصك.

X

قلب يسوع

الفتاة (1)

الموت جليل ولا يعرف الهزار أنه شرموط برخصة خطف حبيبي من بين ذراعيّ وخطفني منه إلى النار التي تؤكل كالحطب والفحم في ليالٍ شتوية يا أبانا سليمان.

يا أبانا سليمان المجد لك ولمريم وللرب يسوع وقاطرة الإنترنت ولآلهة النسخية ولكل "موليفاني" ولد ومات في أستراليا وميلانو وللكيبورد وجوجل و**cam4** وساوند كلاوند وللخراء في الأعالي.

أبانـــا الرحيم الذي هيِّئت من قبلـــه الأرض في اليمن لبازوليني الإيطالـــي ليصور فيلمًا عظيمًا بالقرب من هنا.

ساعدني يا سليمان كزنجيَّة فقيرة ولا تحب مضاجعات النسوان لبعضهن بعضًا ساعدني ليرد إليّ حبيبي في المقبرة ذاتها.

لا يرغـــب كلانا فـــي خروجة أو كأســـين من النبيت الأحمر أو تذكرة لحفل في الأوبرا وقاعات التشكيل أو قراءة كتاب والسماع لقطعة مزيكا.

فقط يريد كلٌّ منّا أن يقطِّع أخاه بأسنانه على مرأى ومقربة ومن عرشك وكرسيك ونسأتك ربما تدب النار التي تؤكل كالحطب والفحم.. الحياة في روحينا العطشانتين لقُبل ومضاجعات من لحم ودم.

سئم كلانا اللمس والقضم

لا تكن غليظ القلب يا أبتي واستجِبْ لما أطلبه لي وله من تحت تراب سقفٍ واحدٍ.

الفتى (1)

يا ابنة جبل الأطياب يا حبيبتي
يا جميلة وزنجيَّة كوني تقيّة
كما كنت في الدنيا ولا تعنفين الرب سليمان وتزايدين عليه فهو سيُهيِّئني كما هيئ له مُلك أبيه داود ليرثه وسأل وأُعطيَ من وَسَعٍ، فيا أبانا الجليل سليمان عُد بي طفلًا على باب شفتيٍّ حبيبتي ونديمًا لفمها الندي الطري، هلّا نظرت عليّ فأنا صحو ولا أنام في مقبرتي وصار التدخين بخوري كالأشباح الضالة في ليل بهيم لا يرعاني فيه سوى دفتر سيجارة لبول شاؤول

صرت كوْمة من العظام في قفة لحم من كثرة اللمس والقضم اللذين يفضيان إلى وهْم انتصابي وعندما أثنِي جذْعي أدور في فراغٍ يطول فراغًا يفضي إلى فرجة حزينة دامعة على نايٍ برائحة الصندل الذي تعرفه من اليمن.. عندما قدمت إليك به وبقومها جميلة الجميلات ومحظية المحظيات في زيارة ملكة سبأ لعرشك محملة بالهدايا فلا تنس فضل المكان

واجعل لنا تحت التراب وسادةً

ومرتبتيْن من قافية القطن وليالٍ حمراء

فكلانا لا يحب الظلام الذي تظن أنه نعيم الهيكل بلا كهرباء.

الرعاة (1)

لا تبتئسا يا جميليّ المقابر وسكنى الحياة فلكما وعد من سليمان فاصبرا كأنما لا تزالان تحت خيمة في الصحراء مقعدين في سريرين متقابلين تفصلهما أكوام من الرمال المتحركة وثعبان من الدلتا وحرباء من القناطر وزبالة وضراط وما عليكما إلّا أن تسكنا بيتا للكلام ولا تتوانيا عن القضم والعضعضة في الهواء كأن الهواء باكو من البسكويت أبو جنيه.. ذي الورقة اللامعة الموف وخطأ في النحو

واستمرا في الوصال برشق بعضكما بعضًا بعبوات صغيرة وفارغة من الصفيح واللازمة كالهواء الملوث بـ **co2** لسد الرمق

الذي يتكون سدَّه كما كنتما تفعلان في أوساطنا من الفول الشامي والتونة والسردين... كأنكما قط وفأرة أو كلب ولبوة أو لبو وكلبة في خصام مدة عام بسبب رش المياه على وجهيهما مصادفة في أورجازم موسيقى تفلت من تلال يريانها رأي العين لتصير سيَّان لفظة بذيئة بذيئة كـ'التي مضيت بها إلى النهر معتقدًا أنها صبية، لكنها متزوجة'(*) كمثل إلاهة الأطياب في الصحراء وخدمة التوصيل السريع في سوبرماركتات توشك على الزوال بين أضلاع الخيمة الناهضة في صحار جرداء

من النفط لعنه اللـه والغاز لعنه اللـه هو كمان.

(*) جارسيا لوركا.

وبعنف المديوكر ضد الرعاة الصالحين
ليكفوا أيديهم عنكم وتكفا أيديكما عنهم في سُنة الأحلام
أنتما جميلان يا صاحبيّ الخيال وونس لنا ولأغنامنا.

الفتاة (2)

يا حبيبي يا حبيبي كم أحبك في الشقاء
لا أدري لِمَ كنت ضد نصيحة عباس بيضون ولم أدعك سالمًا
أريد أن أخدشك وأخربشك كحقائبي غالية الثمن المهداة من عشّاقي المذعورين في التودد وفي التراب.

أنت شـــقائي يا ابن التجار والفلاحين وسأكسر رأسك بمناجل ومايوهـــات وبحار في الصحراء وســـتكون

كحقيبـــة اليد التي تلازمني في الخيمة وبين النســـوان
وفوق الأسرَّة وتحت أنين يتوارى عاليا عاليا كالنوافذ
في بيت سام بن نوح الذي يتوسط وتدًا يلاحق خيمتـي
ووردتها الدانتيلا السوداء.. في صنعاء القديمة
وفـي تعز التـي أتوارَى بطيْفها في التراب
ولن أدع الشقاء سالمًا يا عباس هه.

الفتى (2)

أنت جميلة تعز في الأكفان وفي زيِّ البلاد الذي كنت تبدين طابعًا للحسن حفر لترفرف عليه رايات سود صغيرة وقطعًا نحاسية تلمع وتسرق العين في عفار ورمل وصحارٍ ونبتة شريفة صامدة للعطش تسمى صبارة البنفسج الحمراء الحمراء الحمراء.

بينما يضرب الإيشارب في وجه ينظر إلى كلينا فنرى وجهًا آخر في خيمة المرايا كأنه النبع المحاط باللحم أسفل ذقنك.. وبودِّي أن أشرب منه في الليل

الدماء الدماء الدماء، وأنا أحفر بمخالبي في فردة من إليتيك هادفًا ترك علامات تذكر بي وأنت ترتدين كيلوتًا أحمر أحمر أحمر في الغياب.

أحبك يا جبانة وشجاعة في اتجاه واحد كراقصة هندية سريعة الحركة

تنقذ أميتاب باتشان بمعجزة إله المصادفات في أفلام الترسو والتسعينيات

وتنكفئ على وجهها فيأسرها الأشرار ويسلُّونها

بوشايات وقصص وأشعار

حمراء حمراء حمراء

لتنســـى هناك مدة عام وأيام كأنها ولدت لتُنسَـــى في الشقاء.

الرعاة (2)

دعوا الشقاء سالمًا

عباس

أساطير

: يا جبلنا العظيم أنا إيزيس العاشقة جئت لأمسح رأسي في ترابك وأشفَى... جئت لأضمك أيها القدير الجليل برفقة حبيبي.
كم أنتما وحيدان في العراء ولا أراكما مبتهجيْن كسليمان عندما رآني في صوت الهدهد.

: لا يا جميلة الأناشيد نحن هنا نسمع صوتك الذي يضرب الرعد في الغيوم ويضرم النار في الحطب

نحن جالسان لا يطول أحدنا الآخر لنتحد وتخاطبينا كأننا على قلب رجل واحد، روحي كجبل كبرت وروح حبيبك ترابي ولا أعجب من سكاكين مرشوقة تجاهنا من كل صوب يتردد فيه صدى صوتك الملتاع.

: تعــالا لأطعمكا وردتي، تعالا كمــا أنتما بلا ترتيب اخطفاني من بيت أهلي وأعيداني فرحة أنني وحَّدتكما فــي خريطة جســمي، ورفعت فوق ســطح حلمتين شــمعيتين جبلا وترابه في لســان واحــد يلهث وراء عطوري تعالا يا حبيبيّ.

: انتظري حتى تزول الشمس وتدور في زوايانا طرية فحرارتها قاسية وتعطِّل حبيبك التراب من الصعود إلى قمتي لألقي به في الهواء ليرتد إليَّ كما كان في سيرته الأولى موزعًا بين كل جهاتي من القمة إلى السفح إلى ما يود أن يلمس منك ليلمسه معى ونحن خاضعان بين

ذراعيك اللتين يملأهما سحرًا كأنك تلوِّحين لنا عارية في نبْع مياهٍ نراه لِمامًا.

: أوف أنت تهذي ترتب خطة تتمادَى مع ما يدور في رأسك ولا أراه عزيزي الجبل هل يجب أن أبوح لك بحبي لكما فتفضحني، ولا تزال روح حبيبي نائمة في أدراجي وخطاه فوق ترابك وبين عشب صخورك أنت لا تشتهيني إلَّا كمحظية ألقاها إله المصادفات في حِجرك؟ صه أيها الحالم أنا ابنة بوذا في بلاد الهند والسند وصديقة يوكو وجون.

أحصنة عاقر

نحـــن مرايا في قـــرى بعيدة لا يفلـــح مؤرخو عصر الملاكمة أن تقال لهم حقائق عن موسيقانا.

ولدنا في غرف الأرانب الصغيرة التي تعضض حزم البرســـيم في بيوت مجدت ناصر وتعاطفت مع مقتل السادات بلا نوتة موســـيقية تشرح لنا شيئًا بلا عزف حقيقي أمام أفـــران عجينة الخبز المســـكر نحن الأم

المتســكِّعة بلا منطق في شارع بناه سينمائيو شوارع كأنه لوكيشــن من أجل لقطةٍ تقارب الواقع.. بدت الأم المتسكعة متجمدة الوجه لا حزنًا ولا فرحًا وتجر يدها اليمنى عربة خضار صغيرة لتذكرنا بتلك القصة التي كتبها المخزنجي عن تلك الأم الأخرى حاملة المشــنَّة هناك في مدينة أخرى بعيدة.

نحن الخط المســتقيم الذي قطعته تلــك الأم مطأطأة الرأس في جلباب وطرحة سوداوين بلا التفاتة للخلف وكأنها تقــرأ مصير خطانا في حزن لا تدركه كلمات الشعراء والساردين ولا لقطات داود عبد السيد..

حزن يمطوح الحياة في كادر يقطع النظرات المتبادلة بين ضاربي الحشيش في الطرقات المجاورة لأكشاك الســجائر، حزن لا يتوقف بمجرد أن تكف الموسيقى الجنائزيــة بعــد صياعة منتصف الليــل عن العزف بالأواني والملاعق والأكواب والسكاكين..

حزن يتمهل ليرشق في السكون المدمر لتقلبات الأرجل الراكضة من أجل الوصول إلى اللا شيء واللا معنى في صفقة واحدة.

XI

عيناي تدمعان في حُلمين

الحلمُ الأول:
أوْج النبتة الشريفة

كنت نائمة في مارسـيليا بعد كتابة 1984 حلمًا مهداة لجورج أورويل، فلا يزال هوسـي بالموتى يلاحقني في فترات يقظتي لليالٍ متتالية حتى أقعَ مغشـية عليّ من الإعياء كأن يدًا حمقاء فركت بنفسجة هي روحي الغائبة عن الوعي بين إصبعي الإبهام و.. ما اسم هذا الإصبـع الذي يلي الإبهام في المطرحة التي يسـبقها المعصم..

لا رمــوز ولا احتمالات هنا لابن عاهرة ضالٍ يُدعَى ســيجموند فرويد المطرَحة هي كفي، قبضة يدي التي ألــوِّح بها في وجه أعداء خرافيين على هيئة ســحالٍ تركض خلفي وتثيــر الغثيان داخــل روحي الكبيرة الصغيرة الطاهرة القحبــة بالتلامس البطيء كما في أفلام الكاراتيه في حقبة ترسو بروس لي، بدوت يافعة في الحلم ومصابةً بمرض النحافة مثل ديانا العاشــقة المسكينة أميرة ويلز..

بدوْت كما لم أرَ نفســي من قبل مقبلــة على المزيكا والكتب والمخدرات بأســى يلازمنــي كعمياء تؤكل روحها الخرســانية بســبب اندفــاع الرطوبة تجاهها ليصدأ حديد عظامها ويتفكك ويتساقط ورقه إلى أسفل قاطعًا طريقه بإصرار يُحســد عليه.. لا لينقذ نفسه أو يمد مخلصًا يده مــن وراء الموج كأنها مُدت لغريق، ولكن لأصل بأقصى ســرعة إلى مكان مغلق وأجلس في وضع القرفصاء، لأن الدموع تنز من عينيّ بغزارة

سواد الليل كلما لمست قدماي أرضًا أو داست موكيتًا فارسيًا مفروشًا في كل عالم الحلم وموقَّعًا بإمضاءات هنري ماتيس الذي يضيء لونه الأحمر هذه الجوانب المعتمـــة في صالة الحلم حيث توجد المنامة التي تلف كنوزي الحسيّة التي لا يراها رجال حمقى دخلوا حياتي كسطر قيل باختصار عن حلم لطيران لم يكتمل.

الحلمُ الثاني:
شاي وبسكويت

أســقط من طائرتــي. كانت المســجلة تضرب على صوت أوبرالي عشقته هناك في ذلك الركن البعيد عن أعين الجميع في قريتنا فوق القش وضوء أقمار عديدة يزغلل عينيَّ، ومجلد الشوقيات فوق ركبتي وفراشات ملوَّنة تحوم فزعة حول رأسي..

كنت أسحب كلبي البلاك جاك وأطمئنه أن اللـه موجود فلا تفــزع يا ريكس من العراك الكوميدي بين إخوتي

الذكور الأشـــداء الأقوياء عندما يتنافسون على ابتذال المحبة تجاه أمنـــا الطيبة.. هم ممثلون طيبون وتربَّت أرواحهم على محبة الإسمنت ولم يعوا جيدًا أن روحي تحطمت عندما هدموا بيتي القديم الذي يحفه الطين من كل الجهـــات، اِعلم يا ريكـــس الحبيب - أعزك اللـه - أنني قضيت لياليَ طوالًا أرسم صديقة مراهقتي نائمة على الحائط بعد أن خطفوهـــا إلى الجزائر العاصمة لتدرس مع أبيها المعار الرياضيات من دوني.. وتكفّ عن ملاحقتي بإعجاب شقيقة يجعل العرق يتصبب من بين كراريسي..

أرســـم وأبكي يا أتعس الرفاق ريكس.. أبكي وأرســـم كلبتي الميتة ممددة في تابوت العودة بلعَبها ومراهقتها الغضة إلى ملاعب جمعتنـــا في محبة الأفلام الملونة في عصر الكهرباء والتليفزيونات وأجهزة الفيديو.

حلمٌ بداخل فيلم

- I -

مَحْوٌ لي
لذلك الاسم الذي أسمع صوتًا يناديني به
مَحْوٌ لحروفه
الخارجة من شفتين لا أعرفهما
لن يتوقف العالم عن شيء
لو جاء إعصار خفيٌّ وضربني
ومُحِيت من فوق الأرض
وكان لاسمي نصيبٌ من اختفاءٍ طويلٍ

هل تظل لي أنف وعينان ووجه هكذا
هل أظل على حالي
ساكنة بلا حركة
أنا ابنة لخيالٍ عنيف
جئت إلى هنا لأقتل أفكارًا لقوادين
ظنوا الحياة مجرد محاولة لفتح كتاب
عن الكسب السريع.

أليس هناك من يعلمني كيف أحب
ولا أشقى بإضاعة الوقت في إلقاء
الزبالة البشرية التي تخدشني من الداخل
خارج ترنيمة لروحي

بودِّي أن أطرد ذبابًا كثيفًا
جاء ليشقَّ طريقًا له بين موائد العسل
التي أعد رسولة لالتقاطها كلما مرت قدماي من هنا
بين رصيف وإسفلت في مدينة مملّة.

كان ياما كان أنني ضِعت بجوار محلٍ للأسماك البحرية
وجاء قط عجوز في زيّ امرأة ثم خمَشت أنفي
وتدفق دم قليل وعدْت بلا ذكرى وكأنني أضيِّع وقتي
في أفعالٍ لا معنى لها.

ما الذي يجب على الإنسان المعاصر فعْله
حتى لا تنال منه رائحة وهمية
في أيام العطلات
فلا أثرَ ملاحظ لشيء
أنا وهم ابنة وهم يبحث عن وهم.

- II -

بودِّي
ماذا بودِّي
بودِّي اللا شيء

بودِّي أن أنشئ له خطًّا بالطباشير
ليتعرَّف على مساره
ويكون ظاهرًا بكليَّته أمام ناظري
وسأحضر مقياسًا هندسيًا
لأحصُره في البقعة السهلة للقنص
لينطلق من السكون إلى الحركة
ثم أنقضَّ عليه كأنثى لنسر
وأدميه من الطعن بمخالبي.

أنا الشريرة الخجول
التي كتب عليها مضاجعة اللا شيء
ودمه نازف فوق جناحيّ
معًا نتدحرج من علوٍّ إلى آخر
والموت وشيك من غريمي

وليس من المحتمل اقترابه مني
إنني حُبلَى من الامتلاء بالخسران.

- III -

أنا البتول
والابنة الكبرى للمكان
أدلُّ على نفسي بذلك الوهن
اللامع في عينيّ
عندما أسر وأرى نفسي مُفعمة بالأسى
من تلويحة لوداعٍ ناقصة بين شخصين
لِمَ لم يؤديا دورهما مكتملًا
أليس للنقصان ممر؟

أيتها الرفيقات الطيبات

ألا يمكن لإحداكن عصره بين ساقين قويتين
ثم إسقاطه من بينهما فجأة
ليذهب للجحيم الأبدي ويتابعن المشهد
من نفس المقعد في "الكوفي شوب" برفقتي
أليس ممكنًا إعادة تدويره
من النهاية للبداية
ويقف كلٌّ من الفتى والفتاة
كأنهما يؤرخان للقائهما الأول
بلا عقد ذنب مُعطلة للانطلاق لقُبلةِ
تعارفٍ أخوية

صدقوني فلن تجرح الفتاة
لو قبَّلت رجلًا متخيلًا
ولا يجسَّد لها سوى كطيف.

- IV -

عادة ما تتأخر عليّ
وتكف عن ملاحقتي
لكوْني فتاة مسكينة ظننت بأن هناك
صدقًا في عدسة مكبِّرة لقارئ كفٍّ
حين اطمأن لخطوط في باطن يدي اليمنى
وبشَّرني بالنوم في فراش شيطان عجوز
مدة ليالٍ ونهارين.

- V -

جالسة في مقهى صغير
بلا نوم كافٍ لامرأة وحيدة
أدخن وأتأمل المارة في حي شعبي
أين ذلك الفتى الحليوة

الذي حكى عنه روائيو الستينيات
في تلك الكتب التي بعْتها بثمنٍ بخسٍ
لأحصل على كمٍّ قليل من النقود
وأستطيع الخروج لمواجهة العالم
كحرة ليس بودِّها الأكل في موائد الآخرين
أليست لي يدان بضَّتان
أين العمل الشريف
أين الغزل الصريح.

- VI -

بينما كنت في حال الاسترخاء
ممدَّدة فوق الكنبة
لمعت الفكرة من بين قدمي البضَّتين
اللتين أثارتا خيالًا لرجل مريض ظنهما مدينة لألعاب ديزني لاند.

جاءت إليَّ الفكرة عن الالتباس
عن ذلك الوهن الذي يكوِّمني في الليل
كروح مسكينة في انتظار مخلِّص
عن كيف أستيقظ في سريري
على صوتٍ لشخصٍ آخر غير حبيبي.

أدماني الغياب
لم لا ترحمني يا اللـه وتضربني بالزهايمر
لم يكن هو سوى وصلة قصيرة من الغناء الشاق
بلا طعن وقُبلات
كأنني عصفورة صغيرة لم تجرِّب الرجال
وهو قابض بيديه البعيدتين
في تلك الكنبة التي أراه فيها خجولًا كأحلامي
ولا يفارقني خياله.

أحبك يا رجلي
بكل ما كان بداخلي من شخصيةٍ لأنثى
ولم أجرِّبه ليظل لي كيان ووجه لحزن خفيف
تعالَ لأفكِّك جسدي بين يديك وأبني لروحي
كتالوجًا من اللؤلؤ
وأكون لك معبودة سعيدة بك
بالرحمة التي لصوتك
عندما تنظر لي ساهمًا
وتقول صباح الخير أيها الأخت
ألا يزال لي وجود
في حياة تمساحة بدينة؟

- VII -

وحشتني بتلك الطريقة التي لا أعرف
لها لونًا وطعمًا ورائحة
وبذلك الأمان في عينيك البعيدتين.

XII

قـرى

عدسةٌ لسائح

- I -

وصلتُ إلى تلك القرى البعيدة
معي حقيبة للسفر وعدسةٌ لسائح
ومخطوطةٌ أعدها كرسالةٍ طويلةٍ
بودِّي أن تقرأ بعينيك البعيدتين
فكما تعرف.. أنا يتيمة منذ سنوات
ولم أقطع هذه الأميال في سن الأربعين من قبل إلَّا
لأمشي في جنازة

وها أنا ذا أقطعها في نفس السن مرة أخرى
لأزود وأنقِّح رسالة حبٍّ طارئ.

أمسك الأوراق كأنني لاعبة كوتشينة
أخلط الورقة الرابحة بين يدي
بالخسران الذي ترعى رائحته غرفة أمي
ليس هناك من لبس في مرآتي بينكما
أنت حبيبي وهي جزء منك وأنت كلِّي
الذي يأكلني هنا كوردة مرضت فجأة
وتناست ألم غيابك وسافرت برفقة المرح
وفشلت بألَّا تتوقف عن التفكير فيك
ليملأ صوتها بالحياد وتعيد صياغة
عبارات من الوَلَه الصريح بالقضيب.

الاحتشام كالحذر، واجب يا عزيزي
ولا يصح لي أن أظلَّ هشةً هكذا
وأتمناك برفقتي
كلما مُلئت أذناي بالموسيقى
والكلمات البذيئة.

- II -

هناك خمولٌ آخذٌ في التشكُّل
إنني أضيع بحق
ولم يعد لديّ دليل لفرْق بينك وبين
مخطوطةٍ لكتاب
أقرأ سطرًا، ففقرة فموضوعًا لومْضةٍ
عن رجل لم أجده مصادفة
وخلقْته في بالي رفيقًا لأيامي

لأضرب مثلًا عظيمًا
عن روح مُحبّةٍ لامرأةٍ
لم تصادف الحب في الواقع
وأنشأته لزمن قصير بين دفتيّ كتاب
كأن الزمن ميت
كأن الزمن مخدر.

- III -

أنت ملل وابن لملل صدّقني
وليس لي شأن لو ظن أحد بأنني بذيئة
هذا وصف لحالي
عندما لا أراكَ سوى لاعبٍ جيد في أفلام الحركة.

هل تعرف فتى الترسو بروس لي

هل تعرف لِمَ أضحك بملء فمي
لوجود أناس مثله ماضين في الحياة
كأنها فيلم
ووجب على هذه الأرواح الغلبانة التي قطعت تذكرة
لسينما بأن تعود برفقة معانٍ لخذلانٍ مريرٍ
لن تحس بروح شابة إلَّا عند حافة سرير
في فندق الوجود والعدم.

- IV -

أحب فندق الوجود والعدم
وأفكر في الذهاب إليه وحيدة
كأنني تهت عن موكب لأهلي
ولا أحد حولي سيمد لي يد العون
ويلزم بأن أنقذ نفسي الموشكة
على الفناء.

بودِّي أن أنتفض من الحمى
ولا أبوح لأحد بألمي
هل سأموت صامتة
دون اعتراف بالحب
في مقهى صغير
لـ"أرامل ماركس"
وبلا صراخ في غزير الليل
من شباكٍ لريفٍ بعيدٍ.

أليس من المحتمل لو جربت صوتي
في هذه الصحراء التي تراءت لي
بأن يسمعني الجالس هناك
بين جدارٍ لغرفةٍ وصالةٍ
ويسحبني خياله كالموج الهادر في المحيط

إلى قاع نفس الفندق
وأكون برفقته لا لشيء سوى لأراقبه وهو يدخن ساهمًا
ويفكر فيّ كأنني جارة ميتة ولا يراني.

كآبةُ كايرو

جاءت نجمة السـينما يرافقها مسـنٌ يبـدو عليه أثر لمضاجعة سـريعة، تليها استراحة بالخروج للعالم ثم العـودة لوصل ما بدأه في عجالة وانتهى بإخفاقه الذي مُلئت أنفي برائحته.. أرى إخفاقه في عينيّ عشـيقته الشـابة وقد تمدد في دخان وصـل كلمح البصر إلى أكمامـي من تلك الزاوية التي أجلـس فيها متمنية أن يكون في حجري الحب الصحيح لرجل يسكن في حيٍّ آخر.

جاءت نجمة السـينما الشبيهة بالحيوانات المنوية التي يلقيهـا الرجال العواهـر في أفـلام البورنو ليصلوا بالأورجازم إلى حلبة للملاكمة بين وجه مليء بالشبق المسـائي وقضيب دهن بما يشـبه الأفيون في زمان الأجداد والجدات.

جاءت نجمة السينما والجميع في المكان يتمرغون في تراب الشـهوة الناقصة ويتلفَّتون على حركة منتظمة لشفتيها وليّ الشيشـة معلق ولا ينزل من بين أسنانها البيضاء التي تعضُّها أحزان لا يشـرحها شيء سوى حب ضاع منها ونسـيته، ثم جاء فجأة وهي تضرب مسـنًا في خلاط ورقة نعناع جفَّت بين فخذيها ولم تعد لها رائحة.

جاءت نجمة السينما ولم تكن لديّ نية لرثاء حال مسنِّها المسكين الذي تجرجره وراءها كالكلب كأنها تشده من

طوْق أنيقٍ ملونٍ بطلاء أظافرها الخادشة لجلد رقبته الهش المزين بسلاسل من الحروف ليس بينها حرف يبدأ به اسم تلك المخلوقة المايصة التي ينعتها عمَّال الكوفي شوب بنجمة السينما.

أيامٌ في عرْض البحر

لا لست حزينة ولا دليل أن القصة بأكملها ذات بالٍ لديّ وإلّا ما الذي أسكت الطائر في الغرفة وبعد ليالٍ حلُم بمركبٍ تنقله لغرفة أخرى مجاورة بدلًا من أن يخطط لصنع سفينة ويتخطّى الباب ويخرج إلى قصته إن كانت لديه أصلًا..

عرفت أناسًا قليلين هنا كانوا يمرون بنفس ما أمر به واستبدلوا الطائر بالحزن والحزن بالموت وما واصلوا

في كتابة قصيدة عنه لا يكتب عن موتهم سوى الجبناء، أما الشجعان فيذهبون إليه عندما تقبع في أنوفهم رائحة مستحيل كفروا به.. فعلها رفاق ورفيقات في أزمنة أخرى كانت تلقي بناسها في عرض البحر حتى تستقر العملة المزيفة في قاعه وتطرد من تلقاء نفسها مدينتنا وقد اكتمل البناء.. وفي داخلها عملات حقيقية تؤمن أن المحبة قوية كالموت

أمشِّط الغرفة أجلس فوق المرتبة أدخن أسمع مزيكا ميكس أشرب كوبي قهوة أكلم يحيى.. أكره اللـه أحب أمي..

أدخن مرة أخرى أفتح موقع بورنو.. أفتح جوجل.. أقرأ كتابا.. أفكر في الطعام.. أمشط الغرفة.. مرة أخرى أجلس.. أستحم.. أضاجع نفسي بالتلامس الذي تعلمته من نساء وحيدات في Mygf.com..

أجلس فوق المرتبة مرة أخرى أردد مقطعًا عن الهجر أردد مقطعًا عن الوصل أردد مقطعًا عن الاستغناء..

لا لستُ حزينة بودِّي فقط أن أخرج من الباب ولستُ سوى مجرد فكرة تصنع لساعات وستذهب إلى أدراج الكتابة ليكون لديّ تجسيد من لحم ودم لطوْق نجاتي من الانتقال من غرفة أيامي إلى حوائط غرفة مجاورة.

مدائحُ للمكان

شاء اللـه أن أرمي الخريطة وأمضي من دونها، وبلا بوصلة حتى كان قلبي يعمــل وعقلي يقرأ ما ترجمه قلبي بأسًـــى.. إنني ولدت لأكون قديســـة وبطلة يلوَّن خراؤها بتلك البتلات التي تسقط فجأة بفعل الزمن في فمه الواسع الذي أمطر الهواء بالغناء..

كان المكان جســـدي الذي أحاطوه بالستائر ذات اللون الفضي.. ووضعوا فــوق رفوفه كتبًا مليئة بالقصص وأزاحوا قاعدة الصرف الصحي بعيدًا عن أنفه الملتاعة الولهانة لرائحِة غائبٍ مات فجأة.

ثلثـــا المكان صالة وثلثه الأخيـــر بيانو أجلس للعزف وأدندن بأغانٍ شعبية أؤلفها عن دخان في أكمام مدينة تخصُّني ولدتُ لتكون مفردة بين شفتيّ الطيبتين اللتين قالتا عن القبح كلامًا يسحره ويُخرجه من حلبة للملاكمة مطرودًا شريدًا مسحوقًا تحت الأقدار.

XIII

محقق أمانٍ في زيّ مهرج

- I -

غاب الاتساع وصار هناك ممر بداخلي
ممر من الوهم يمكن لإحدى قبضتيّ لمْسه مصادفة
بينما أنا نصف نائمة وأتحرك بين كومة من البشر
الصباحيين ولا أعرف مقصدًا لأوهامي.

إنني ثملة ووحيدة وليست لديّ روح كبيرة ياما تمنيتُ
لخطواتي اللحاق بها حتى تتأكد فرضيتي أن المجد
للإنسان.

هل أجلس فوق كرســـي لمقهـــى وأتوقف عن بلوغي

لخيالٍ ماجن أصـــاب كهلًا علـــى الجانب الآخر من ضفاف أحلامي الصغيرة.

- II -

ثمة نزوع حزين يضرب بين أضلاعي
أن آمر جسمي بالاختفاء في فكرة تتدحرج من رأس إلى آخر ويكون له معنى واضح
لا غموض من زمن السبعينيات يحوي ألفاظه
حتى يصير هناك أوغاد حقيقيون لجيش من الرؤوس يمثلونني. أوغاد حذرون من الخفة والثقل في آنٍ واحدٍ ولا يضيِّعوني من قوة الهشاشة التي تصاحب كل أثر لي كأنني مجاز عن جندي ملَّ المعركة
وانضم إلى فيلق الأعداء.

على الجانب الآخر من مقهى أدخله مصادفة

وأبدو بين قيامةٍ وأبديَّةٍ لجموعٍ وحيدة
تحت سقف من الصخور
ضائعة بداخل أركانه
بينما يمر أمام ناظري شريط عمري كله
لِمَ لا يتمايلون معًا بين كراسٍ من الخوص
هل أركز بروح كبيرة
وأجعلهم ينشئونني كذلك البرق اللامع
الذي قرأت عنه في خاطرةٍ لرينيه شارل
برقة كلها عذوبة
لسيجارة تبغ أمريكي في أربع شفاه تغنِّي للكمال بين إله وعاصفة.
عندما كان إلى جواري فتى فرنسي لا يرى في التعرِّي سوى نقصان لحلم أنساني الشعر المعاصر وحوَّله إلى نسيان من أجل سماء بعيدة

لم يكن لي يومًا أن أصارحه بالعطش لمحبة كالمسدس
وأتوهَّم مدة دقائق بأنه شقيق من بلادي.

- III -

كلاكسات لعربات
في الجانب الآخر من الشارع
تصل إلى نصف روحي ولا يزال انشغالي بالموت
يدخل ويخرج من بين أسناني
كأن فمي صار مقبرة.

هل أستيقظ وأعدَّ نفسي لحياة خالية من التعلق بأية أوهام
آكل وأشرب بانتظام مراقِبة لون الخراء.

بين حلم ويقظة في وقت التسكع
بينما أذان المغرب أحاط المدينة
كإعلانٍ مخيفٍ لقدوم الليل
بنفس التكرار الذي أكلني بلا أملٍ لنجاة
من دمامل الوحشة التي تطل من عينيّ.

- IV -

جلست أمام فاطمة لتأليف حكايةٍ على لسان يوسف إدريس
بينما هي تبادلني العطاء كروح طيبة بمرآة للفلسفة
كنت منشغلة بذلك الفتى الشاب الذي يشبه حبيبي لكونه يمتلك رأسًا لمصلق 7 آب
ولا أعرف لِمَ سأظل مهانةً هكذا
كأنني في غرفة ببلدٍ بعيدٍ أتأمل أسواري

وليست لديّ خطة للفرار من الكآبة التي تأكلني من الداخل.

- V -

مفقودة في زحام فوق رصيف لمكان جمعني ذات مرة بالأحلام.. وما كان مني سوى فعْلٍ لقول شيء عمّا مسَّني من فرح
وإذا بأيادٍ غليظة لا تعرف الرحمة تنهال فوق خيط يشدُّني إلى نفس النقطة التي بدت جزءًا من روْحي العليلة متى وكيف يمكنني ببساطة المثول أمام ربة الحظ لمناجاة ذلك الرماد الذي بودِّي النفخ فيه من فم الإنسان.

- VI -

يبدو كل شيء كأنني حزينة
ولا تزال أمامي أميال أقطعها
حتى أتخلَّى عن حبٍّ صغيرٍ
وأعود بكل قواي لالتقاط خرائطه الملغزة برمْح تمرتي من وراء قناع الطعن في مؤخرات لحشدٍ من فتيات الليل.

- VII -

جربت كثيرًا تتالي الليل والنهار مفتوحة العينين
بين جدران لمقهى أو لبيتٍ أو لنُزُل مؤقَّتٍ
ولكنني البارحة مُلئت بالعراء وفاض من ماكينة جسمي
ووصل الأمر إلى حدٍّ لم أتوقع من خلاله أن تكون لقدمي نغمة للوحدة الأليمة

فصار البشر والكلاب يتلفَّتون أثناء مروري بجانبهم
ولا صدى لوجودي في معنًى ممسوسٍ بالامتلاء.

- VIII -

ليس مهمًا أن تكتب لأجل أحد
هناك رسائل كتبت بالدم ولم تصل إلى كونها مقروءة
ثمة سعاة بريد كسالى كانوا مجرد حفنة من الموظفين يؤدون واجبهم
ولن يجدي أن تطالبهم بمعرفة ملمس الكنوز التي تخلقها الألفاظ.
هم يرمون الخطابات الآتية من السجون
كأنها كومةٌ معطوبةٌ من الطماطم
اِختر ملمسًا لروحك يومًا بعد آخر
وصِل بينه وبين محبة لتمثال في ميدان صغير

حتى يعترف لك بالفوز
في تلك الدقيقة وقد بدا النعاس يأخذك إليه
وقد صار ليلك عالمًا جليلًا مزدانا بالأوهام
والتمثال برفقة يديك ضائع.

- IX -

أستيقظُ بلا مقدماتٍ كأن جسدي لم يدخل في غيبوبة النوم، وكأن الليل رفيق لغياب لا يطول سوى مدة ساعات
لمَ تملأ روحي الصغيرة بالسحر هكذا ويكاد يفيض منها قلب واعٍ بذاته؟

هل هناك محقق أمانٍ يلاحقني في الخفاء ومسيطر علي لدرجة أنه ما عاد يفوت كالطيف بين أحلامي وصار يشق ضفتيها جالسًا في مكانه بباب اللوق

وكأنه في انتظاري دون موعد بيننا
محقق أمان في زيّ مهرج.

- X -

لا أعرف لمَ يضربني كل هذا الصفاء
برفقةِ امرأةٍ حنونٍ ليست سوى مجرد صديقة لشقيقتي التي فقدت.
ولا يخفى عليّ بأنها مدحت خصلاتها البيضاء ذات مساء بعيد
وتغزّلت فـــي ذلك الدمْع الشـــبيه بأحـــزان الأمهات المتّشحات بالصلابة.
عندما تتصفح أمامها فـــي ركنهما المفضل في صالة بيت قديـــم صورًا من زمن الأبيض والأســـود لأبيها الوسيم المفقود في سن مبكرة

وتتمهّل بين جملة وأخرى في تجسيد عينيه الدالتين على كونه ابنًا للموت.

الجمال يذهب كالعادة إلى مقبرة
بينما نحن جالستان قصاد بعضنا بعضًا لننجو
تقول كافًا حاضرةً لنبرة صوتٍ غائبةٍ
وثمــة حكايــة تتوقــف عــن الاقتراب مــن روحي العطشى.

XIV

قصصٌ مُتخيّلة عن التراب

- I -

في البدء كان التراب دليلًا على كوننا أحياء
فنحن من دونه ضائعات
وليست لدينا تسلية
هو رفيقُ الأيام
وشارتنا التي لا أثر لها في مدينة البحر.

جاء التراب برفقة موتانا نائمًا
وأيقظناه في حلقات الصداقة والتهيؤات الباهتة
حتى اختلط بأسانا وغادرنا في هيئة براميل
من الحزن المفاجئ

كنا نودُّ له ألا يقتل أرواحًا
ويدمي أفواهًا لا تعرفه.

حين تسير الحياة مرحة وأنيقة وبلا خيال
هو ذاته كالحصى
والصخور
والبيوت
والسفن
والحُليّ
لن يكون خاسرًا لو ظل وجوده لذاته
فنحن محركاته في مدارنا
في تلك اللحظة التي نكون مختصرات في روح عطشى
روح عطشى تصادف خرائطها

ثم تنسَى لمَ جاءت إلى هنا أصلًا
ولماذا يجب عليها أن تمسك التراب بين إصبعين
متنقلًا من أنفٍ لآخر
ومن حذاء إلى حذاء
ليس التراب جوهرًا
تقام لأجله معارك دامية
تجعلننا مجرد أفراخٍ صغيرة
سابحات في بركٍ راكدة
وفي انتظار يدٍ إلهية
تلقي حجرها الكبير فوق رؤوسنا
وقد اتّخذنا وضعية غرقى.

- II -

هيَّا نصعد إلى الجبل

بدلًا من أن نحرق هذه المدينة المملة
يا أخواتي المجنونات
كفانا انتظارًا ألم تسكرن للحظات
من دون المكوث فيها
وكم من مرة هربتن منها إلى أوهام كهف
لم يكن سوى خرابة بلا موسيقى
وعازفات طيِّبات الأرواح
هلموا من أجل حفنة تراب
سنطيِّرها من أعلى الجبل
ونسقط فوقها كالصقور الجريحة الأبية
كأننا سئمنا من سحر تاء التأنيث
لنعود مرة أخرى إلى المدينة المملة.

لدينا كنز في هيئة عازفين
كأننا خلقنا ذكورًا مخصيِّين فقدوا التوستيرون

هل صارت أجسادنا الهشَّة النحيلة
مجموعة آلات تقول الموسيقى
بمجرد النظر لبعضها
في حضرة عاشقين صغيرين
نحن الآن في مقهى
وقد صرنا كذلك
"آلات موسيقيّة في هيئة أجساد"
ونودُّ إسعاد عاشقين صغيرين
يتحاضنان بين دفتيّ كتاب
عن الشفاء من الحب
وقد مات بينهما الكلام منذ ليالٍ
في نصف غرام
وقد صارا أمامنا
... في هيئة جموع من الذكور والإناث

لم يسقوا حبهما شربة ماء بأكفِّهم
وأصروا أن يعذب فيما بينهما.

في هذا الركن المظلم من مقهى...
هلموا ببطء حتى لا يلحظان وجودنا
على الرغم من اختفائنا بعيدًا عن العيون
إياكم والضجيج
لا تنظر إحداكن إليهما بمفردها
فتورّطنا في جملة موسيقى باهتة
بلا معنى.

لا يضيع من بالكن أننا فريق واحد
اصغوا إليّ واعزفن للنظرات
التي تطيح بها روحْ كبيرة
أختها الصغرى

وتدميها كأنها تشدها من مكمن ضعفها
أنا العازفة المايسترو التي تسأم سريعًا
من منظر الدم بين عاشقين صغيرين
آمركن أن تقتلوهما بالعزف الحزين
حتى تمزج روحهما
كما تمزج الخمرة بالماء الزلال
'فإذا مس أحدهما شيء مسَّني
فإذا أنا هما في كل حال'(*).

- III -

يا أخواتي المجنونات
أنا مجرد راوية عنكن
ليست لدي روْح خربة كحاملي نوتات الموسيقى
بودي أن أدوّن سيرة روح بيضاء

(*) الحسين بن منصور الحلاج "بتصرف".

لعاشقين صغيرين
ربطتكن ببعضكن بعضًا
وقد صارت نهرًا صغيرًا
نمد بالقرب من مياهه أكفّنا والجذوع مائلة
في خشوعٍ وأسى
ألحظكن في تلك المساحات الفارغة
بين كراسٍ متراصة فوق كوبري قصر النيل
ألحظكن وأتمتم من دون سلام وكلام
لمَ تلاحقن خيالي بضراوة؟
ألست ذلك النقصان الذي استقر
في جملة موسيقى عن ناي
أنا الإلاهة النائمة في مقبرة من الزجاج
في دائرة ميدان مزدحم بالمسافرين.

- IV -

يا أيها التراب
يا منشدَ أغانٍ في خيال
مل المضيُّ قدمًا بين عربات وشوارع جانبية
ومبانٍ نودُّ لها ارتفاعًا شاهقًا
تعال وخذ بعضًا من حماستنا
وكن عضوًا عاملًا في نهر صغير
نرمي منه عليك أكفًّا مملوءة بالمياه
كأننا حزب نسوي لخلْقٍ من طين
إذا مست إحدانا أخاها
وقد تجلَّى في صورة جموع
بذلك الوَله الذي يبدو في صالة سينما
بين ممثلين تركوا الحياة في الخارج
ودخلوا اللوكيش فقراء من كل شيء

إلّا من تلك التلاوة المخلوطة بشخوص
قد تكون افتراضية
قد تكون من لحم ودم
قد تكون كسرًا في الآية.

يا أيها التراب
يا ملهم الإلاهة ورفيقها
نحن جائعات لمغامرة ونريد أن نباركك
أعلى الجبل
وسنتلو تعاويذ الجدات الشمطاوات
ربما تهب علينا من كل صوب
ونعمَى لنرى كل الأماكن
وقد صارت لوكيشًا
ونحن حفنة من الممثلات العظيمات
اللواتي اخترعن حياة لإلاهة ورفيقها
أرادا لوحدتهما ألّا تكون بلا معنى.

- V -

مضت أعوام
ونحن راكضات بين بيوت من الطين
في انتظار وصولٍ إلى أرض الشمس
حتى يعود التراب وحيدًا بلا مياه
من دون خلق ورفيق
ونرى ماذا نحن فاعلات بلا قواعد
وكأننا خرجنا من حلم لندخل آخر.

نحن بنات المصادفات والحظ العسر
سنمسكك بين كفوفنا ولن نخلطك بشيء
سوى بذلك العرق الذي ينزُّ من جباهنا
ونحن ماضياتٍ إلى نصف قيامة.

XV

أتونُ وردةٍ لأنثاه الافتراضية

- I -

ما الذي يقال على لساني كأنثى محتشمة تنفر من الاستعراض في السيرة المُغناة لوصف رجلٍ مثاليٍّ جاء من قارة غنية إلى قارة فقيرة ليأكل فاكهة أقل سعرًا ويدمج فتاة أحبَّته وهرب منها كالكلب المسعور بأخرى تريد أن يكون لها حساب بنكي يطمئن منظري العلاقات العاطفية.

ما الذي يراد من الرجل المثالي عندما يقرأ إدجار ألن بو جالسًا فوق قاعدة الحمّام بينما يأتي صوت على الطرف الآخر من التليفون: لا تتأخر وتكن كالخراء لا أحد يحبك في هذا العالم سواي.. دعك من المثقفات

الأنانيات الراغبات في مجد زائل لا يزن خردلة من التفافٍ لجسدين في عناق.

ثمة رسالة مطويَّة بين كومة من الملابس الملقاة في غرفة للأطفال تبدو كأنها وصية للرجل المثالي من طرف خفي يلاحقه مبشرا إياه بالرحيل المفاجئ عن المكان ليذهب إلى أحضان مومس عمياء ترعاه ويهجر أنثاه الافتراضية التي يرن صوت صحراء بداخلها في أذنيه الشبيهتين بأذني حمار وسيم.

أكان عليه أن يتأمل حائطًا للصور في غرفة أخرى للنوم والألعاب السادية بينما يمر شريط أمجاده في حياة قصيرة لم يحظَ منها بالعطف عندما هاجر إلى نيويورك وعاد خائبًا بالحنين ليتعذبَّ بين هويتين كسرتا جناحيه كفرخ صغير أراد أن تكون له أنشودة عن الحب الذي ملّ من غناء الديوك في قلب مدينتنا المملّة.

- II -

أنتَ حبيبي.. صدقّني، وليس لديَّ دليل على ذلك
ولكن أنت حبيبي والسلام وليس لديك دليل على ذلك
لست أكرهك مطلقًا وأنا بلا رغبة في أن ألف بطنك
تحت ساقي وألعق عرقًا ينز منها في فمي لأشم رائحة
اليود هنا في مدينة الإسفلت
كحلم متكرر لمغادرة أمني نفسي بالمكوث خارج النوم
لأراكَ قادمًا بلا مقدمات كظل لمحبة خلف الشجرة
الطيبة.

- III -

بينما كان الرجل المثالي قد أفلس ولا يمتلك من حطام الدنيا سوى سبعة دولارات، وبالكاد تعادل خمسين جنيهًا مصريًا، حسب سعر الصرف في هذه الأيام،

لم يذهب خياله إلَّا لكتابة رواية عن أتون وردة لأنثاه الافتراضية ليتسلى بعيدًا عن البطالة وآلام القولون العصبي المصاحبة لوجبات رخيصة تؤكل برفقة قطط الشوارع.

وضع أســطرًا فجَّة لوصف جمـــال أتون وردة لأنثاه الافتراضية ثم اعتدل وقال لنفسه إنني الرجل المثالي ولا يليق بي أن أســمِّي ما هو خفي ويلمع في الظلام باســمه.. فلأمنحنــه لقبًا وليكن البهي النائم، وأضاف شـــارحًا، والـــذي ليس بـــودِّي لشــيطاني أن يوقظه بالانقضاض مسلحًا إلى دائرة كالزنازين المشيَّدة تحت بنطـــال ريتا لأعود روحًا ســـعيدة بغيْمة لا تكف عن التذلل لعاشقٍ ولهان.

تســـاءل الرجل المثالي.. لمَ لا أفكـــر أن أكتب رواية عن البيـــوت عملًا بمبدأ التقليد الأعمى لعاشـــق ريتا والعيون العسلية، هذا المراهق الذي أدمى شعره بكاء لمجـــرد قُبلة من صبية يهودية لم يصاحبها اســـتمناء لشم نصف أريج لأتون وردة أنثاه الافتراضية بفضل عطاياها القليلة ذات مســـاء في زمان قديم عندما كانا معًـــا في ظلمة غرفة وتقرأ عليه قصيدة عواء، وكأنها ألن جينسبرج مقيَّدة في سرير من ريش النعام، وتحلم بملامسات لطيفة من والت ويتمان ليعرف الجميع أن لأتون وردة ريتا جمالًا وروحًا من عند اللـه.

- IV -

كومة من الأحلام تليها كومْة من الأحلام
وتسبقهما خسارات لتعلم الرجل المثالي أن ينام هادئًا
وكأن طيورًا سودًا مضت من بيتٍ لبيتٍ مذعورةً

وجاءت لتزقزق ذات صباح صيفي
خارج الغرف، وها هو يصنع كوبًا من القهوة اليمنية
ويتأمل سحبًا ملولًا غادرها لطف الليل ونعيمه الأخّاذ
حتى بدد أحلامه الكبرى في ثوانٍ إلى أحلام رخيصة
كأن يقرأ كتابًا في علم اللغة ويدخن المخدر حتى ينام
مغشيًا عليه للأبد.

- V -

عجيب أمر الرجل المثالي في تلك الفترة التي أصيب فيها بالنسيان ليخاطب القطط في مقاه وينسى الكلام حتى صارت لديه عادة الصمت لأيام، وإذا صادفته ألسنة بشرية تكلم كالببغاء بلا توقف كمن وهبه الله حديقةً للنسيان.. كأنني أنا الشجرة الأم مجرد يد بضة لأنثاه الافتراضية مُدت من خلال الموج لغريقٍ حتى نسيَ وقوَّت عضلات يده اليمنى وصار يخط بها

أشعارًا رديئة لن يخسر العالم شيئًا لو كف عن السهر من أجلها لياليَ يدخن ويتأمل.

- VI -

في سرير من الجحيم جلس الرجل المثالي في انتظار وجه طفلة أسماها المرأة المثالية وكانت خدعته في أن يكون تقليديًا حتى تتمناه وتحلم به كالموتى الطيبين ثم يظهر فجأة ويسحب يدها بعنفٍ ليأكلها كالكلب بين أسنانه فتتأوّه وتتخلى عن فن الإتيكيت وتصرخ "حاسب ياحمار" وفي تلك اللحظة يبتلعها في أتونه العاطل عن العمل كجبل من الشيكولاتة أغرق في بحر من الشبق المدمر لإلهيْن يتصارعان فوق جزيرةٍ معزولةٍ عن العالم بالصراخ الذي يسبق الوصول إلى معنى النار.

- VII -

يأتي السـوق برجاله ونسـائه ودكاكينهما في أحلام الرجل المثالي المتكررة، ولم ترَ ورقة تشرح لمؤرخي الهوية ما الذي أوْدى به إلى رغبة في نسيان ما مضى بأن يشـنق أعداءه الخرافيين، ليس كما هو معتاد بلفِّ الحبل حول أعناقهم وإرخائه من الشجرة الأم في حديقة أحلامـه المتكررة.. ولكن بأن تؤكل ألسـنتهم بجيش من القطط والكلاب الضالة ظل لسـنوات يدربه على الكراهية المصاحبة لقناع التضحية من أجله لكونه اليد التي تطعمهم في الأيام الحالكة.

اعتاد صاحبي المثالي أن يرافـق تلك المرأة المثالية في أيامه الأخيرة حتـى منعت عن نومه هذه الأحلام الشـبيهة بالكوابيس، ومُلِئَ عقله بها حتى كاد ينساها من فرْط ما مسَّه ككل السكارى لروْحها الصلبة وظل

مشـــغولًا بالغياب عنها لليال ونسيَ أعداءه الخرافيين ولســـوء حظه لم تكن هي إلَّا تكرارا لحب ناقص أعاد إليـــه الألم مضاعفًا من دون أحـــلام متكررة بالانتقام من وردة زرقاء لا يزول لها رحيق ولا يصاحبها شم حقيقي كأنها وهْم جميل اخترعه الرجل المثالي ليصل سالمًا خارج النوم ويبدأ حياة معزولة عن الشر.

- VIII -

سيطرت المولات في حقبة الرجل المثالي على المدينة الحديثة سواء كان في نيويورك أم كايرو.. ورافقه نفس الطنين الشاق لأذنيه عندما يبدأ السلم الكهربائي في الطيران البطيء وسط زحام الجميع على اقتناء السلع.

كانت صالات المولات في عين الرجل المثالي تبدو

كمعدة كبيرة تهضم ليس من أجل متعة المضغ ولكن لانتظار الخراء.. ولم يخفف عليه المنظر المقزز سوى تلك الحمامات المشتركة لرجالٍ ونساءٍ غرباء يلامسون فيها بعضهم بعضًا من دون شروط سوى أنهم ملُّوا الشراء.

- IX -

تربىَّ الرجل المثالي في أحضان نساء كن يرددن ليلًا ونهارًا بأن القرش الأبيض مفيد في اليوم الأسود.. وظلت هذه الخلاصة لسنوات نُصب عينيه تتدحرج معه ويتدحرج معها من مدينة لأخرى، وكان لجدَّتيْه الفضل في استخراج حساب بنكي يراكم فيه ما يُمنح له من عطايا نقدية في مناسبات ملئت بها أيام العرب أينما وجدوا.

صارت من عادات الرجل المثالي أن يطمئن الحياة بالأرقام ويطمئن الأرقام بالأصفار حتى أصابه الملل من كل شيء وقرر الخروج عن تلك القضبان وأن يصير أصفارًا بلا رقم كبير شغل حياة أقرانه وزوجات أقرانه كأنه عبادة جديدة للأسر السعيدة.

- X -

في سنوات مضت لا يذكر أحد معارفه أيهم من ركام ما عرف عن الرجل المثالي كمكتشف للحقيقة الملتوية بعد فوات الأوان، حيث قرأ كتابًا في بنسيون صغير يرى البحر يضم بين دفتيه رسائل من أطفال في سن صغيرة جدًا كتبوها إلى اللـه ولم يكن يعرف على الرغم من بلوغه الثلاثين ما اللـه، حتى صادف سطرًا يصفه بالضفدع الذي يؤنس الوحيدين في الليل.. وآخر يقول بأنه باب للقمر حين يقترب من سطوح الأمهات

الطيبات وهن يقلن حدوتة عن عضِّ المعاصم لتسلية الأبناء الذين اعتادوا فعل ذلك لصنْع ساعات تزول فوق اللحم.

وهكذا الْتهم الرجل المثالي كل ما صادفه من تعريفاتٍ وأوصافٍ وجملٍ مبتورةٍ، وأراد من باب الاحتشاد برؤى الأطفال الذين في سن صغيرة جدًا أن يطلق عصفوره من الداخل ليقول هو الآخر شيئًا عن اللـه فلم يعرف ماذا يقول ببساطة شبيهة بهؤلاء الأوغاد الصغار الذين فلتوا من القيل والقال وظلوا مخلصين لألعابهم.

- XI -

هجر الرجل المثالي مهنًا عديدة عاد منها حاملًا لكاميرا تحفظ له ذاكرة أيامه.. وكفّ عن حب النساء والشغف بهن حتى جيء به إلى هنا في الأرض الأخرى التي قرر أن يبدأ في غرفها بلا شيء يعوَّل عليه.. في

الحقيقة لم تكن هناك أسطر بين أوراقه يقال من خلالها ذلك القول الفصل كان الرجل المثالي منيوكًا لا يحب الوسطية الموديل الأكثر شيوعًا في حياة قدامى رفاقه.

نهايته.. وصل الأمر بالرجل المثالي إلى العيش في شقة وحيدًا في الكيت كات، ينام ويصحو على صوت سارينة عربة البوليس قرب بيته الذي تسكنه نساء يعملن في الدعارة، ولم يفكر مرة الهبوط بكاميرته لتسجيل صورة لمومس عمياء مقابل سعر ليلة حمراء ليتسلَّى بما يحب من حفظ لذاكرة أيامه.

XVI

تضيع القصائد مني

لا تصدِّق ما يُقال عنِّي

"قذرة عنيفـــة محنطة كلبة حلوة جزمـــة مدينة إلاهة مستعمرة سيجارة ســـخان ضرطة شرطة عربة بلدة مطواة شـــيكولاتة قبلة مصيدة مكنســـة صفيحة لبؤة ماكينة بهيمـــة عظيمة كاذبة مســـطرة خريطة جليلة منطقة ولاية محافظة دكانة سفينة حلمة ضربة سمكة وســـخة قحبة شـــرموطة محنطة غائبة ميتة مطرودة ملتهبة منتهية مقتولـــة صغيرة عجوزة مبتذلة منيوكة محبة كارهة خليعة هائجة محتشـــمة عنزة بطة خليعة بقرة مأذنة كنيسة..."

بدأ رب المزيكا "الجرنج" يهذي بألفاظ مؤنثة في وجهي ولا أعرف لمَ فعل ذلك فجأة كان جالسًا أمامي مطويًا كأية فوطة اتسخت في حمَّام السباحة ثم رميت من فوق الحشائش الخضراء ليدهسها كارهو الخفة ثقلاء الظل في الرواية الرسمية ندماء الليل في الرواية الجماهيرية التي تلوكها الألسن الجائعة لموسيقى الروك في مدينتنا المنيوكة وفي الضواحي التي تربَّى فيها الرب وأتباعه المخلصون.

بدأ رب المزيكا "المدهش العجيب" يلعب مرة أخرى بالألفاظ المؤنثة النكرة ويلقيها في وجهي كأنني خصمه اللدود كما لو كنت في غاية الحيرة من أمري وأتساءل سرًا هل هناك ما بدا من ملعب خيالي المريض أصابه بالغثيـــان ليتصرف مثل الببغاء الذي يخضع لشـــهوة الـــكلام دون تدبّـــر وتأمّل فيما يقال على لســـانه من هراءات، ظللتُ لسنوات أُومن به وبنفسي وبأن سؤالا

رماه من فمه كالغنجة التي تقع بين صدى آسفة ما في مكالمة هاتفية بين عاشــقين صغيرين هو الذي جعله يفعل ما يفعله المُقبلون على الانتحار بطلعة "شــوت جــن" واحدة أو أقل ليموت فــي ثوانٍ دون ألم ووداع يليق به في ولاية الســياتل الغربية هاتفين "تعال كماً أنتَ" تحت قدميه وضربــات جيتاره الأحمر تطرش آذاننا في الصحن الكبير لمدينتنا المنيوكة ونحن نردد مطأطئي الرؤوس الشعار "تعال كما أنتَ".

لم تكن الأحلام في فترة النقصان سوى محطة لتخطيط ضواحٍ وملاعبَ داخل مول قرْع العسل والحزن العميقِ، لتبدو الحدائق العامة والنواصي بين الأكشاك هالوينًا لكآبة تحيط بالمجموعات الصغيرة التي تهتم بالأصلاء ليحرروا العالم بالمزيكا والمخدرات.

نعــم كانوا بشــرًا لا يرون اللـه إلَّا مــن غياب كامل

للوعي في زيّ أحمر.. أحمر، وها هو قد جاء بجيشه وهم قاعدون كمتفرِّجين يتمنوُّن له ولجنوده "عن حبٍّ" الانتصار كالثيران في حلبة المصارعة.

الست ثومة:
يقول الناس إنك خُنت عهْدي

رأيت الفتى خارجًا كالطيور من الظلام ليتمشَّى لدقائق منكمشًا كأن ماءً أصاب جناحيه وعطَّلهما البلل المفاجئ عن الحركة من الإسفلت إلى الرصيف.. شاء القدر أن يجرف بفعل حركة الهواء وفراغ معدته من طعام أن يسقط للنوم في ملابس مُتسخة بالغبار الذي تراكم لأيامٍ وأسابيعَ في بنطال وتي شيرت ولا أثرَ لغيمة.

يبدو المشـــهد أمامي مأساويًا وثمة صياح من جماهير الســـتينيات في كاســـيت عربة ملاكي لامرأتين ركنتا بجانـــب الرصيف الممدد عليه الفتـــى الذي كالطيور والســـت تصدح يقول الناس إنك خُنت عهْدي، العالم يتلألأ تحت أعمدة الإنارة والكلاب تمرح أمام أكشاك السجائر ورائحة البن المطحون لتوِّه تجري إلى الأنوف في الشارع.

مِلت برأسي للأمام، وإذ بالفتى يدندن نفس الكوبليه "يقول الناس إنك خُنت عهْدي" نهض الفتى ومضى كأنه شهيدٌ مات في ثورة مهزومة، وقام ليرسم مصيرًا لنفسه من دون انتظارٍ لهذه الجموع الكلبة الفزِعة منه، وجرى مسرعًا يكسِّر في العربات واختفى ومضيت أنا في طريقي أردد: يقول الناس إنك خُنت عهْدي.

تمارين الغياب

طارت الكهرباء فجأة من الغرف.. صار البيت مظلمًا إلَّا من خاطر أنك تفكر بي الآن، فلا يعقل أن أكون واهمة وأنت تشق هذا الظلام إلى نصفين وتمر أمامي في زيٍّ أمير جاء ليقضي ليلة مع صديقةٍ قديمةٍ لن يراها في سنوات قادمة.

ســـتقرأ لي كتابًا وأنت تفك حزام فســـتاني في ضوْء شـــموع ســـأحرق بها لخطأ أفعله عن عمدٍ بعد وداعٍ

قصيرٍ في ذلك الشارع القريب من ذكريات كنّا خضنا غمار حروبها من أجل إعادة شالٍ حريرٍ يخصني..

أعلم أنني أختلق حكاية الشال الحرير لأنهي مسار حكاية أخرى وأخرج سالمة ليس منك للحق.. ولكن أنت تعرف هذا العالم عندما كنت ممددة فوق سرير وحيدة وفقدت طيفًا حولي كان يقول لي صباح الخير ويكررها في المساء وأنادي عليه لأنني نسيت فوطة الحمام ليأتيَ ويدلِّك ظهري وعنقي بتلك الزيوت التي تجعل اليدين عطوفتين وودوتين لعاشقٍ يسلِّي شريكه في عمَى تصاعد البخار.

قد أحكي لأذكركَ أنني فقدت كل هذا فجأة ليس من باب الوَلَه به ولكن لأقول لكَ إنني لم أكن سليمة ولا يصح مني أن أغرِّد لملاكٍ شريرٍ مثلك في الْتباسٍ وتمثيلٍ وكأنني حارسة القفص ولست روْحًا لطائر

أحبَّت رجلًا من الغجر جالسًا في زيّ أخضر يلف نصف رأسه فوق رصيف الأزهار ليعلن للعالم أن في قدميه كوتشيًا ملونًا برباط أحمر، وحبيبة تود أن تُجلِسه مرغمًا للعزف وهي تدخن الماريجوانا ساهمة.

خرجت مساء من دون أن أذهب إلى الملاعب التي تدميني فيها رائحة رفقتك.. فلست في الحقيقة سوى كاتبة جمل قصيرة تمد يد العون مشكورة لرفيق شرب معها في زمن بعيد كوبًا من الفراولة وغازلها بلطف الأخ الذي يقول لأخته لا تزالين نضرة وجميلة وها أنت عدت إلى زواياك، وبدأت أنا لأنسج قصة تحل لي رداءة مرَّت من تحت مياهي وتكون لي الجسر، فلم أرد في يوم وليلة أن أكون زبالة لوردة تفوح حولي بالأمل لأشق الظلام مثلك إلى نصفين وأعبر للنجاة.

حلّ الظــلام مرة أخــرى.. كان الملل يمــلأ الغرفة المضاءة، أظنه كان يملأ روحي ويدحرجها من غرفة لأخرى، بنفس الدرجة يبدو المشــهد كما لو رآني من غابوا عن حياتي من شــللٍ ودوائرَ وقصصٍ ليجلبها موتي فجأة ويفصلها عــن بعضها بعضًا نفس الموت الشــاهق الذي يتمطّع كالأبله فــوق جدار يكلمني عن الأحــلام في الكتب التي طالمــا دوَّختني حكايات بها لأشباح في مدن بعيدة.

ثَباني(*) ابن زيدون

تضيع القصائد مني مكسورة ومرمية بعنف في بئار وصحار وفوق مطابخ وجبات سريعة في حقول الذرة المشوي وبين حبات الطماطم وحقول البطاطا في الحديقة الخلفية لبيت النوافذ العالية تضيع القصائد مني ولا تفلت كلمة اعتراض من فمي..

لأنني كنت ملحة أكثر من المعتاد عندما رأيتها تتقدَّم نحوي بضراوة من تعرف أن هناك خيالًا لقادم بودِّه أن تتلقفه يدان طيِّبتان وتضعه في جملةٍ ليرتاح من زمّ شفتيه ويتنفس دون قلقٍ من موتٍ مفاجئ.

(*) ثَبَى الشيءَ: جمعه، ثباه: مدحه وأثنى عليه.

كفَّــت القصائد عــن ملاحقتي في الأماكــن والوجوه وصارت تتحرك كالطعنــات بداخلي في أمعائي بين بقايا طعام وضرطة جماعية لقديسين صارت من حين لآخر مرحــة وتلاعبني لأنام مدة ســاعتين وتوقظني لأشرب شــايًا وآكل بسكويتًا وأشــرب قهوةً وأدخن حشيشــةً مثل يمام اللـه ثم أتمدّد في ســريري لتركب فوق ركبتيّ وتهزني بضراوة لم أذقها من قبل لتســقط من فمي مومسات ووقورات وعظيمات وشرشوحات في نوتة موســيقية تقول جملةً قصيــرةً لا أذكر منها ســوى أنها جملة قصيرة تلازمــتْ مفرداتها في فمي كأنها فتّاحة نبيت لمخيَّلتي مكتوبٌ عليها نفس الكلمات في حفر لرســمة يونانيين قدامى أتوا إلى نفس المدينة التي تضيع فيها القصائد مني.

أحبكن أيتها الكلبات الجليلات.. ألا ترغبن في النكاح؟ أنــا اليوم متعبة وثمة تنميل في نواحي جســدي وتلك

أفضل حالاتي لأطوَّق يدي حول أعناقكن وأدور للعْق أثداءكن ثم أهبط من السماء مرتطمة بمقدمة وجهي في حفركن الوارفــة بالدانتيلا التي تطيِّر نافوخي بإغلاق جفوني لأيام قمرية مضت كأنها نعيم زائل.

خارج النوم

تَلْفن لي اليوم صديقي حسن.. هذا شأن شخصي وليس جديرًا بأن يقال في أشعار لن يقرؤها سوى قلة من صديقاتي أنا وحسن ولا يخفى عليهن ذلك الأسى الذي بودِّي وصفه عندما يُتلْفِن لأي منا حسن ضاحكًا بملء فمه كأنه يطمئن العالم بأنه على ما يرام، حتى لو ضرب النوم عظامه بالآلام التي لا يعرف أطباؤه متى دخلت من ثقبٍ في قلب حسن.

يبدو حســن كالقنفذ في التليفــون ولا يود لصوته أن يلمس فلا يكون له مصير ســوى إيقــاع ناي حبيس وينتظر من محدِّثته أن تفتح كلامًا ويظل طوال الوقت يرد بتلك الكلمات القصيرة في لهجة بلاده التي تؤسس لاختصــار غاب عنا نحن رفيقاتــه المصريات هيك/ مو ظابطة/ شــو لُونك.. حتى ظن بعضهن بحسن أنه كتوم ولا يأمن البوح لآذانهن.. متناســيات أن علامة بارزة في ذراعه القصيرة بعنف جعلته منحنيًا لصلاة مجوسية بلا ألفاظ.

خاتمة لولادة

أنا ملاكة الخشب التي تصله ببعضه البعض عندما يعجز اللـه أنا زوج وزوجة يتشاركان في عراك فوق ريش نعام أنا الوحدة في طيز الفاشيين الذين يرشقون الأبرياء في المذابح بالرصاص..

أنا تدويرة لأتون وردة جاريتي في شموع مضاءة أمام مرايا لا تمل من غنجها الاصطناعي تحت مخالب رَجُلي الخؤون.. أنا تاء التأنيث لإناث محَّنطات ظنن الحب وردًا لا يدخل الخلاط ويضرب بداخله.. أنا تمام ونقصان.

أكـره الكلـب

عندما يموت الكلب قد أجد شيئًا جديدًا أقوله للأطفال، بدلًا من الجملة الفعلية المعتادة: "احذروا الكلب".

ستتسع مساحة الكلام للحب، وسأنتبه أن ثمة كلبًا قابعًا داخلي يأكل حاسة اللمس.

عندما يموت الكلب سأنزع خصيتيه، وألعب بهما كيفما أشاء.
ستظهر روحي الفردية ويتقاعد الخوف.

لا تخف

لا بدايات بين رجل وامرأة، ولا نهايات أيضًا.
كلُّ خطة موضوعة في رأس أحدهما لا تقول الحقيقة..
حتى لو كانت هناك كشَّافات مضاءة على أفكارهما لحظة الوصول إلى نفس المكان.
يبدأ الرجل بالتلعثم في قص حكاية عن ماضيه التعس. وتمضي المرأة في ركنها نائمة تحلم بمستقبلها. يدق الباب فيتحول الرجل إلى فأر بينما تصير المرأة لبؤة تزأر في عرينها: "لا تخف" تقول المرأة.. "أنا ملاذك مـــن الخارج فاذهب وافتح بابًا لغدك".

المحتويات



الشاعر في سطور

أشرف يوسف

- من مواليد مايو/ آيار 1970.
- حاصل على بكالوريوس تجارة، جامعة المنصورة 1992.
- محرر كتب، ومسئول قسم النشر في دار العين (2009 - 2016).
- نُشرت له العديد من الكتابات في مجلات وجرائد مصرية وعربية.
- تُرجمت مختارات من أعماله إلى الفرنسية.

صدر له:

- "ليلة 30 فبراير، قصائد منسوخة"، أدب الجماهير، المنصورة 1995.
- "عبورُ سحابةٍ بين مدينتين"، مطبوعات أدب 21، المنصورة 1997.

- "يعمل مناديًا للأرواح"، دار شرقيات، القاهرة 2002.
- "حصيلتي اليوم قُبلة"، دار شرقيات، القاهرة 2007.
- "مَقْهى صغيرٌ لأراملِ ماركس"، دار العين، دار شرقيات، القاهرة 2015 .

البريد الإلكتروني:

ashraf70y@yahoo.com

فوتوغرافيا: Emila Medkova

الغلاف: غادة خليفة





